معارك المهدية بين الثورة والدولة

(دراسة وصفية تحليلية)

(1881- 1898م/1300- 1316هـ)

د. حاتم الصديق محمد أحمد ❁

❁ - أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية التربية جامعة الزعيم الأزهري.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهم معارك المهدية

مستخلص

تناولت هذه الدراسة أهم المعارك التي خاضتها الثورة والدولة المهدية في الفترة من (1881- 1898م- 1300- 1316هـ) ضد الحكم التركي – المصري في السودان ولم يكن أمام هذه الثورة إلا أن تدخل في معارك متواصلة لتزحف لطرد الأتراك من السودان لذلك وجد الإمام المهدي نفسه في أول المعارك في أبا (1881م/ 1300هـ) ثم تطور الأمر بعد ذلك وتوالت النجاحات حتى هاجمت قوات المهدي مدينة الأبيض(1882- 1883م/1301- 1302هـ)، ورغم الهزيمة في هذه المعركة إلا أن المهدي استطاع تجميع قواته وتغيير أسلوبه العسكري القتالي ، حيث اتجه إلى أسلوب الحصار بدلا عن الهجوم وهو الأسلوب الذي انتهجته قوات الإمام المهدي منذ معاركه الأولى . ونجح بعد ذلك في الكثير من المعارك حتى تم له تحرير الخرطوم في(26يناير 1885م/ 1304هـ) ، وبعد وفاة المهدي تولى الخليفة عبد الله السلطة في الدولة المهدية ودخل في العديد من المعارك التي فشل في معظمها لعوامل وأسباب داخلية وخارجية سوف تجاوب عنها الدراسة .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

Abstract:

This study dealt with the most important battles fought by the revolution and the Mahdist state in the period from(1881-1898)(1300-13015) against the Turkish-Egyptian rule in the Sudan .This revolution was only fought in continuous battles to expel the Turks from Sudan. After the success of the Mahdi forces in Abba island (1881 AD). Mahdi forces attacked the city of Al-Obeyed (1882-1883). Despite the defeat in this battle,Mahdi managed to consolidate his force s and change his military style.Where he turned to the style of siege instead of attack, a method used by the forces of Imam Mahdi since the first battles. And succeeded in many battles until he was liberated Khartoum on (26- January-1885)(1303) and after the death of the Mahdi,Khalipha Abdullah took over the power in the state of Mahdia and entered in many battles, Which, failed in most of them for internal and external reasons Which , the study will answer these questions.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمة

خاضت المهدية الثورة والدولة العديد من المعارك الداخلية والخارجية التي شكلت بعد ذلك تاريخ المهدية في السودان وقد كانت هذه المعارك نقطة الانطلاق الحقيقي للمهدية ابتداءً من معركة الجزيرة أبا في العام (1881م/1300هـ) والتي تمثل نقطة الانطلاق الحقيقية للمهدية ، كما أنها تُعَدُّ أهم معارك المهدية ثم توالت المعارك التي شكلت التاريخ العسكري للمهدية حيث حدثت المواجهات في قدير ضد راشد بك أيمن ويوسف الشلالي وانتصر فيها الإمام المهدي وبعد ذلك جاءت معركة الجمعة الفاشلة أو هجوم الجمعة الذي خسرت المهدية فيه عشرة آلاف مقاتل وبعد هذا الهجوم تحول الإمام المهدي في أسلوبه القتالي من الهجوم المباشر إلى الحصار وهو أسلوب برعت فيه قوات المهدية بصورة كبيرة وأصبح نموذجاً طبق بحرفية عالية في بارا والأبيض والخرطوم . وقد كانت معركة شيكان واحدة من معارك المهدية الاستراتيجية والتي ظهرت فيها مقدرات المهدي القيادية وبراعة قواده في إدارة المعركة حيث تحقق الانتصار بخسائر قليلة جداً.

بالإضافة لمعارك الإمام المهدي في كردفان وتحرير الخرطوم كان هناك عدد من المعارك المهمة والتي دارت أحداثها في شرق السودان بقيادة عثمان دقنة حيث نجح هذا القائد في خلق حالة من الفوضى والاضطرابات في شرق السودان مكنت الإمام المهدي من أن يقاتل قوات الحكومة في حاميتها وهو مرتاح نسبياً وحتى في عهد الخليفة عبدالله نجد أن عثمان دقنة استطاع أن يشكل خطراً حقيقياً على القوات الحكومية في سواكن ويستولى على عدد من المدن لذلك سوف تتطرق الدراسة لبعض معاركه في شرق السودان .

بعد وفاة المهدي واجهت الخليفة عبد الله العديد من المشاكل الداخلية والخارجية ولذلك اهتمت الدراسة ببعض المعارك التي دارت في عهد الخليفة مثل القلابات ومعركة توشكي وكرري . الناظر لهذه المعارك الثلاث يجد أن المهدية كسبت

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القلابات ولكنها هزمت في توشكي وكرري لذلك سوف نسلط عليها الضوء لمعرفة العوامل والأسباب التي أدت لخسارة المهدية لهذه المعارك.

أهمية البحث:

تكمُن أهمية البحث في الآتي :

أ. تتبع أهم معارك المهدية في السودان (1881- 1898م/1300- 1316 هـ) والأسلوب القتالي الذي كان متبعاً في ذلك الوقت .

ب. شرح الأسلوب القتالي للمهدية في مرحلة الثورة والدولة .

ج .توضيح أثر العوامل الداخلية والخارجية في إضعاف القوة العسكرية للدولة المهدية .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- دراسة معارك المهدية بصورة تفصيلية .

2- شرح العوامل والأسباب التي أسهمت في فشل ونجاح المهدية الثورة والدولة في بعض المعارك.

3- مقارنة معارك المهدية الثورة بمعارك المهدية الدولة وتوضيح الفرق بينهما.

منهجية البحث:

اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي .

أسئلة البحث:

1- ما أهم معارك المهدية ؟

2- هل تُعَدُّ معركة أبا أهم معركة للمهدية أم هناك معارك أكثر أهمية ؟

3- ما الأسلوب القتالي المتبع في معارك المهدية ؟

فروض البحث:

1. تتفاوت معارك المهدية الثورة والدولة في الأهمية ولكن تبقى معارك الثورة هي الأهم ؟

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

2. تُعَدُّ معارك المهدية من أبا وحتى شيكان من أميز وأهم معارك المهدية لأنها ساعدت في تثبيت أركان المهدية.
3. تنوع الأسلوب القتالي للمهدية بين الهجوم والحصار حسب المكان والزمان.

الدراسات السابقة :

هذا البحث تناول موضوع (أهم معارك المهدية) بالشرح والتحليل كما أن هناك عدد من الدراسات المنفصلة التي تناولت معارك المهدية بصورة مجملة ومفصلة منها :

(1) إسماعيل عبدالقادر الكردفاني،الحرب الحبشية السودانية، (1885- 1888م) ، (الطراز المنقوش ببشرى يوحنا ملك الحبوش) ، (تحقيق) محمد إبراهيم أبو سليم، محمد سعيد القدال، دار الجيل، بيروت، 1991م. تناول الكاتب علاقة المهدية بالحبشة مع تسليط الضوء على معركة القلابات .

(2) ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، (ترجمة) عزالدين محمود، دار الشروق، القاهرة 2006م. تناول فيه الكاتب معارك الغزو الإنجليزي المصري ضد المهدية وشرح معركة كرري مع توضيح استبسال الأنصار في معركة كرري رغم الهزيمة.

(3) عبد المحمود أبو شامة، من أبا إلى تسلهاي حروب حياة الإمام المهدي ، المطبعة العسكرية، أم درمان ،1987م. تناول أبو شامة معارك المهدية من أبا حتى تسلهاي في شرق السودان ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في شرح معارك المهدية بالتفصيل مع إعطاء صورة قريبة للواقع .

(4) عصمت حسن زلفو ،شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس، ط2، شركة كرري للطباعة والنشر، المطبعة العسكرية سابقا، أمدرمان، 1984.

(5) _____، كرري ، تحليل عسكري لمعركة أم درمان ، مطبعة التحدي ، الخرطوم ، 1981م. تعد دراسات زلفو حول شيكان وكرري من أهم الدراسات التاريخية العسكرية التي تناولت معارك المهدية بالتفصيل مع إرفاق العديد من الخرائط التي ساعدت على فهم هذه المعارك.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

حدود البحث:

حدود البحث المكانية يقصد بها المناطق التي دارت فيها معارك المهدية ابتداءً من أبا وحتى معركة كرري والإطار الزماني من (1881- 1898م) (1300-1316هـ).

هيكل البحث:

أتت هذه الدراسة في فصلين وعشرة مباحث حيث تضمن الفصل الأول ستة مباحث ، وأما الفصل الثاني فقد تضمن أربعة مباحث مع خاتمة ونتائج وتوصيات ، وقائمة للمصادر والمراجع.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الأول

معارك الثورة المهدية

المبحث الأول:

معركة الجزيرة أبا 16رمضان 1298(هـ 1881م/1298هـ)

كانت معركة الجزيرة أبا في العام 1881م (1298هـ) من أهم معارك الثورة المهدية وذلك لعدد من الأسباب والتي منها أن هذا الانتصار تحقق في ظروف صعبة وبالغة التعقيد كما أن الإمام المهدي لم يكن يخطط لمواجهة الحكومة في أبا والدليل أن خطابات المهدي ورسائله كانت تدعو الأتباع والأحباب والمريدين للهجرة إلى قدير(جبل ماسا) ولكن وقوع أحد الخطابات في يد الحكومة عجل بالمواجهة بين الطرفين ([1]).

أرسلت الحكومة الحكمدار محمد رؤوف نائبه محمد أبو السعود للجزيرة أبا لمعرفة حقيقية الخطاب الذي وقع في يدها وقد ذهب أبو السعود وقابل المهدي وتأكد له أنه صاحب الخطاب المعني عندها حاول أبو السعود أن يقنع محمد أحمد المهدي بالذهاب معه للخرطوم لكن المهدي رفض هذا الطلب وقال له إنّه المهدي المنتظر ، عندها تحرك أبو السعود ناحية الخرطوم ليخبر الحكومة أن المهدي هو صاحب الخطاب وأنه يرفض الحضور للخرطوم [(2)].

كان محمد أبو السعود يأمل أن يسلم له المهدي ويذهب معه للخرطوم لكن من الواضح أن أبو السعود لا يعرف المهدي المعرفة الجيدة ومدى إصراره على مواقفه وفي الوقت نفسه الإمام المهدي مصر على مواصلة المشوار الذي بدأه والوصول إلى نهايته . وقد بدأ هذا المشوار بدعوة اتباعه للهجرة إلى قدير .

([1]) روبرت أوكولينز ، تاريخ السودان الحديث ، (تحقيق) مصطفى مجدي الجمل ، المركز القومي للترجمة ، دار العين للنشر، الإسكندرية ، 2010م ص43.

([2]) جوزف أورفالد ، عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي ، (1882- 1892م) ، (ترجمة) عوض أحمد محمد الضو ، مطبعة التمدن الخرطوم، 2008م، ص8.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بعد هذه المقابلة والتي تمت على عجل أكد محمد أبوالسعود للمهدي أنه لا يستطيع مواجهة الحكومة فأكد له المهدي أنه سوف يقاتل بمن معه من الرجال عندها عرف أبو السعود أن المهدي لا يمكن أن يذهب إلى الخرطوم إلا بالقوة ([1]).

الإعداد للمعركة :

بعد رجوع أبو السعود إلى الخرطوم أرسل الإمام المهدي لقبائل دغيم وكنانة والعمارنة والحسنات والفلاتة يدعوهم للانضمام إليه في أبا وفي مساء الجمعة 16 رمضان وبعد صلاة التراويح التقى الإمام المهدي بعدد من صانعي المراكب من منطقة (الفشاشوية) منهم مصطفى سليمان وعثمان حاج شريف وأخبره أن الحكومة أرسلت حملة للقضاء عليه في أبا . بعد ذلك دخل المهدي مسجده في أبا وأخرج عدداً من الرايات وزعها على أتباعه وقسمهم إلى مجموعات وقدرت أعدادهم ما بين 313إلى 350 وبايعهم المهدي بيعة الموت وقسمت المجموعات إلى عشرات وعلى كل مجموعة (مقدم) ومن أشهر المقدمين عمر اللحوي، عمر السرورابي، الشيخ إدريس الشاعر وغيرهم ([2]).

نجح الإمام المهدي في حشد قواته لمواجهة قوات الحكومة المتحركة نحوه من الخرطوم في اتجاه الجزيرة أبا كما عمل على رفع روحهم المعنوية والاستفادة من هذه الروح في تحقيق نصر حاسم وسريع.تحركت قوات أبوالسعود من الخرطوم في 11 أغسطس من عام (1881م/1298هـ) على ظهر الباخرة الإسماعيلية وهناك رواية على باخرتين وقد وصلت إلى الجزيرة أبا بعد عشر ساعات وعليها قوة تتكون من 650-

---

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، (1820- 1956م) ط2، مطبعة دار مصحف أفريقيا ، الخرطوم ، 2002، ص 174.

❖ الرمنتجون نوع من البنادق كانت مستخدمة في فترة الحكم التركي المصري.

([2]) عبد المحمود أبو شامة ، من أبا الى تسلماي حروب حياة الامام المهدي ، المطبعة العسكرية، أم درمان ،1987م، 10- 11.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

850 من قوات الحكومة تحت قيادة محمد أبو السعود مسلحين ببنادق (الرمنتجون)❖ ونزلت هذه القوات في جنوب الجزيرة أبا ([1]).

كان برفقة قوات أبوالسعود المتوجهة ناحية المهدي في أبا محمد عثمان أبو قرجة والشيخ فضلو من قرية (أم غنيم) على النيل الأبيض وكان معهم زيادة عبدالله ومحمد أبوشوك كأدلاء وهم من قرية (الفشاشوية) ([2]).

خطة المهدي القتالية :

تولى الإمام المهدي قيادة قواته بنفسه واصطفت هذه القوات بين الأشجار وهم في انتظار وصول قوات الحكومة وقد كانت قوات الإمام المهدي تعتمد على سلاح بسيط وهي السيوف والرماح والعصي لكنها تحمل إيماناً عميقاً بقضيتها مقابل الأسلحة النارية لقوات الحكومة ([3]).

حاول الإمام المهدي أن يطبق أسلوب المباغتة ضد قوات أبوالسعود مستغلاً الاضطراب الواضح على قوات العدو ، ورغم محدودية الزمن فقد شكل المهدي قواته في أربعة محاور وهجم بقواته على قوات أبو السعود هجمة رجل واحد ولم تستغرق المعركة سوى سبع دقائق وكان النصر فيها حليفاً للإمام المهدي ، أمر الإمام المهدي بجمع الأسلحة والغنائم كما تم أسر تسعة أشخاص من قوات الحكومة وصلى المهدي بقواته صلاة الصبح خوفاً على دفعتين وضربت (النقارة) لجمع الناس ودخل خلوته ليغسل جرحاً تعرض له في منكبه أثناء المعركة ([4]).

يمكن القول إنّ هناك عدداً من العوامل ساعدت في أن يحقق الإمام المهدي انتصاره الحاسم على قوات أبي السعود والتي منها :

- استخدام المهدي لعنصر المفاجأة.

([1]) فيرغس نيكول ، سيف النبي مهدي السودان ،(ترجمة) عبد الواحد عبدالله يوسف ، الناشر ، مركز عبد الكريم ميرغني ، الخرطوم ،2009م، ص 164.

([2]) المرجع نفسه ، ص 12.

([3]) فيرغس نيكول ، مرجع سبق ذكره ، ص 166.

([4]) عبد المحمود أبو شامة ، مرجع سبق ذكره ، ص 13.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- الروح المعنوية العالية لقواته والتي جاءت من شخصية المهدي القيادية .
- عوامل المناخ والبيئة والمتمثلة في الأمطار التي هطلت على الجزيرة أبا قبل يوم من المعركة والغابة التي احتضنت المعركة والتي شكلت عائقاً طبيعياً لقوات الحكومة.
- الطريقة التي نزلت بها قوات أبي السعود للجزيرة حيث أن نزول هذه القوات بشكل غير منتظم مكن المهدي من القضاء عليها.
- بطء الأسلحة النارية التي كانت تستخدمها قوات أبي السعود حيث أن حماس قوات المهدي كان أسرع من الطلقات النارية .

وضح من خلال الانتصار الذي تحقق في معركة أبا أن التدابير التي اتخذها المهدي حققت له النجاح المطلوب وكفلت له القضاء على حملة أبي السعود وقد كان المهدي وقواته يقاتلون من أجل قضية يؤمنون بها ، أما جنود الحكومة فقد كانوا يؤدون واجباً عسكرياً مثله مثل الكثير من الواجبات التي قاموا بها من قبل ([1]).

المبحث الثاني:

معارك المهدي في قدير :

بعد الانتصار في معركة أبا عرف المهدي أن الحكومة لن تتركه في حاله لذلك قرر الهجرة إلى قدير والاحتماء بها ثم بعد ذلك يقرر ماذا يفعل لمواجهة الحكومة حيث أنه أصبح خصماً لها.

حاول المهدي أن يقلد النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمر الهجرة إلى قدير (جبل ماسا)❖ ولذلك قال (... أخبرني سيد الوجود (صلى الله عليه وسلم) وأشار إلى بمكاتبة المسلمين ودعوتهم إلى الهجرة معنا فهي مطلوبة جداً ومن الأمور التي لا يجوز مخالفتها ...) ، وقد ساعدت الهجرة المهدي وقواته في أن يبتعد عن حاميات الحكومة

([1]) محمد سعيد القدال، الإمام المهدي، محمد أحمد بن عبدالله، (1844- 1885م) ، دار الجيل بيروت ، 1992م، ص 104.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وهي تعد اختباراً عملياً لمدى استعداد الناس للانخراط في المهدية وهي عملية استراتيجية أعطت المهدي وأنصاره فرصة كبيرة لإعداد أنفسهم لمواجهة قوات الحكومة في ميدان مفتوح ([1])

قوات المهدي في قدير :

تحرك المهدي نحو قدير في جنوب كردفان وانضم إليه في الطريق الأمير عبد الرحمن النجومي والشيخ الحسين الزهراء وعدد من أبناء القبائل في الطريق نحو قدير وعبر موكب المهدي أراضي الجمع و الأحامدة ثم تقلي حتى وصل إلى قدير بعد ثلاثة أشهر. بعد الوصول إلى قدير أصبح المهدي يعد قواته لمعاركه الدفاعية رغم حالة الإعياء التي اجتاحت قواته . كما نجح في دعوة قبائل جبال النوبة للمهدية،كما شكلت الجبال نقطة قوة للمهدي حيث أصبحت نقطة استطلاع ودفاع في الوقت نفسه، وفي قدير بدأ المهدي يدرب قواته على القتال المنظم بوحدات متماسكة بدلا عن قتال القبائل العشوائي الذي كان سائداً في ذلك الوقت ([2]).

حملة راشد بك أيمن (9ديسمبر 1882م/ 1301هـ)

عرف راشد بك أيمن مدير فشودة بعد سماعه لانتصار المهدي في أبا أن خصمه لا يمكن مواجهته بصورة مباشرة لذلك قرر مباغتته في قدير لذلك حشد كل قواته في فشودة وبمعاونة الملك (كيكون) ملك الشلك حيث بلغت قواته 700 جندي نظامي وألف من الشلك مسلحين بالأسلحة النارية وتحرك من فشودة ناحية المهدي في قدير بصورة سرية ، لكن رابحة الكنانية نجحت في إيصال خبر الحملة للمهدي في قدير([3]).

❖ حاول الإمام المهدي أن يشبه هجرته إلى قدير والاحتماء بجبل ماسة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم واحتمائه بغار ثور عندما هاجر من مكة إلى المدينة ونرى أن هذا الإجراء الذي قام به المهدي كان الغرض منه إقناع عامة الناس بأنه يسير على نهج النبي الكريم . الباحث.

([1]) محمد محجوب مالك ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية ، (1881- 1898م) ، دار الجيل ،بيروت، 1986م ، ص 58- 59.

([2]) المرجع نفسه، ص 42- 43.

([3]) المرجع نفسه، ص 44.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كان راشد بك أيمن من القادة الأتراك الذين اتصفوا بالشجاعة والإقدام وصاحب طموحات شخصية كبيرة ، عندما علم بوصول المهدي إلى قدير وأن قواته فتكت بهم الحمى وهو في حالة من الضنك والتعب قرر مهاجمته بدافع أن يتولى أرفع المناصب إن هو نجح في هذه المهمة، وفي الوقت نفسه كان راشد بك أيمن يخالف التعاليم العسكرية حيث أن الحكمدار في الخرطوم لم يأذن له بمهاجمة المهدي في قدير ([1])

يرى ونستون تشرشل في كتابه تاريخ الثورة المهدية أن راشد بك أيمن صاحب مبادرة لكنه قليل الخبرة بالنسبة لأمور الحرب ولقد قرر أن يأخذ بزمام المبادرة ويقبض على المهدي دون أن يأخذ أي احتياطات ([2]).

إذا كان راشد بك أيمن قليل الخبرة حسب رأي ونستون تشرشل إلا أنه كان يرغب في أن يصنع مجداً شخصياً وذلك من خلال القضاء على المهدي وبذلك يصعد سلم الشهرة والمجد.

وصول الحملة إلى قدير :

أجهد راشد بك أيمن قواته بالسير المتواصل من أجل مباغتة المهدي وعند وصوله إلى هناك هجمت عليه قوات المهدي واستطاعوا أن يكسروا التشكيل الذي كان يقاتل به. كما نجح سلاح الفرسان عند المهدي من تعقب الفارين من قوات راشد وقتلهم ([3]).

تكتيك المهدي لمهاجمة راشد بك أيمن (1882 / 1302هـ):

أسهمت قدرة المهدي القيادية في تحقيق نصر حاسم على راشد بك أيمن وقواته وذلك من خلال التخطيط لمهاجمة قوات راشد بك عند مدخل الغابة التي تقع عند أطراف قدير وهو الطريق الوحيد الذي سوف تسلكه قوات راشد كما أرسل المهدي مجموعتين من الفرسان للاستطلاع والمطاردة ، وقد قرر المهدي مهاجمة قوات راشد

([1]) محمد سعيد القدال ، الإمام المهدي، محمد أحمد بن عبدالله ، مرجع سبق ذكره، ص 111.

([2]) ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق، القاهرة ، 2006م،ص 43.

([3]) فيرغس نيكول ، مرجع سبق ذكره، ص 180.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

عندما يكون نصفها داخل الغابة والنصف الآخر خارجها وبذلك تمكن المهدي من إبادة الحملة ولم ينجُ منها سوى مائة أسير وضابط واحد فر بحصانه إلى فشودة . ويعد هذا الانتصار أول انتصار يحققه المهدي على جيش نظامي جاء بهدف القضاء عليه([1]).

وقد غنم المهدي من قوات راشد بك أيمن حوالي ألف بندقية من طراز (را منتجون)([2])

يُعَدُّ الانتصار على قوات راشد بك أيمن الثاني للمهدي حيث فعل هذا الانتصار مفعول السحر وسط الأنصار وتوافد الناس لمبايعته والدفاع عن المهدية كما كسب المهدي الكثير من الغنائم .

حملة يوسف الشلالي (29مايو1882 / 1302هـ)

بعد هزيمة راشد بك أيمن تم عزل الحكمدار محمد رؤوف وتعيين الحكمدار عبدالقادر باشا حلمي وقبل وصول الحكمدار الجديد للسودان أصبح (جقلر) باشا المهندس الألماني حكمداراً بالإنابة وقرر القضاء على المهدي في قدير بعد أن وجد موافقة من الحكومة المصرية ، أعد (جقلر) باشا حملة من حاميات الخرطوم وسنار والأبيض بلغت أحد عشر بلك يضم 2000 جندي نظامي و 1500جندي غير نظامي ومعهم ثلاثة مدافع وأوكل أمر قيادة هذه الحملة ليوسف الشلالي حاكم سنار وهو صاحب خبرة في العمل الإداري والعسكري في بحر الغزال والاستوائية كما ضمت الحملة طه أبو صدر وعبد الهادي صبير من قادة الشايقية ومعهم عبدالله بك دفع الله أخ أحمد بك دفع الله من كبار تجار الأبيض ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 178.

([2])إبراهيم فوزي ، السودان بين يدي غردون وكتشنر، ج1، مطبعة الكتب الوثائقية ، القاهرة ،2008م، ص84.

([3]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 179.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المهدي وأخبار الحملة :

كانت أخبار حملة الشلالي تأتي للمهدي بواسطة الملك (آدم أم دبالو) ملك تقلي وللمزيد من المعلومات قام المهدي بإرسال عدد من فرسان الاستطلاع لجمع المعلومات منهم عثمان زلفى ومحمد حاج شريف كما قام بإرسال مجموعة أخرى إلى الملك (تيفرا) ملك جبل (فنقر) وذلك بعد أن وصلت قوات أبي السعود إلى فشودة ،وقد وقع بعض فرسان الاستطلاع في يد الشلالي وقام بقتلهم مما كان له الأثر السلبي في نفوس قوات الشلالي وذلك لما أظهره الفرسان من شجاعة وإقدام([1]).

هزيمة يوسف الشلالي :

تم تبادل الخطابات بين المهدي والشلالي وفي أحد هذه الخطابات طلب الشلالي من المهدي التسليم وأكد له أنه ليس المهدي المنتظر وأتباعه عبارة عن بقارة ومجموعة من الجهلاء حسب رأي الشلالي ، وتقدم الشلالي بعد ذلك من فشودة غرباً حتى وصل إلى قدير،قامت قوات المهدي بمهاجمة قوات الشلالي في 30 مايو(1882م / 1302هـ)وتمت إبادة الحملة وقتل يوسف الشلالي وعبد الله بك دفع الله ، بعد هذا الانتصار كسب المهدي الكثير من الغنائم والأسلحة وتزايد آتباع المهدي في قدير حتى وصل عددهم إلى 8000 وتلقت الحكومة ضربة موجعة بعد هذه الهزيمة ([2]).

بعد الانتصار الذي حققه المهدي على كل من راشد بك أيمن ويوسف الشلالي استولى على الكثير من الأسلحة والذخائر وبايعه الناس وزاد إيمانهم به فعمل على تنظيم جيشه وقسمه لرايات وعين الخلفاء كما قام المهدي بجمع عدد كبير من الأدعية والأذكار في كتاب واحد أطلق عليه اسم الراتب ([3]).

كانت هزيمة يوسف الشلالي متوقعة لأنه اعتقد هزيمة المهدي ولكن نسي أن المهدي هو صاحب المبادرة وهو كذلك صاحب ميدان القتال كما أن تزايد أتباع المهدي أعطى المهدي مقدرة إضافية على حشد هذه القوات لتحقيق النصر على أي قوات تأتي إليه في قدير .

([1]) عبد المحمود أبو شامة ، مرجع سبق ذكره، ص 23.

([2]) ب.م هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت ،1982م، ص 66- 67.

([3]) سليمان كشة ، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية ، (ب. د)، (ب. ت) ، ص 50.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

تحرير الأبيض (1883م / 1303هـ)

بعد الانتصارات التي تحققت ضد راشد والشلالي أدرك المهدي ضعف الحكم التركي - المصري عسكرياً ولذلك أصبحت كردفان الهدف الرئيس للمهدي، حيث استطاع أن يسيطر على معظم حامياتها ولذلك قرر من قدير وبصورة سرية الزحف ناحية الأبيض في يوليو من عام 1882م ، تحرك المهدي نحو الأبيض ولم يأخذ معه الأسلحة النارية التي غنمها من معاركه السابقة والسبب في ذلك أنه أراد أن يقاتل أنصاره بالطريقة ذاتها التي كان يقاتل بها النبي(صلى الله عليه وسلم) وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخدم السلاح الناري ، كما أنه كان يرغب في أن يرسخ في أذهان الأنصار أن المهدية لا تنتصر بالسلاح الناري [1].قبل أن يتحرك المهدي نحو الأبيض قام بإرسال رسولين إلى محمد سعيد مدير الأبيض يطلب منه تسليم المدينة غير أن محمد سعيد قبض على الرسولين وقام بإعدامهما [2].

من خلال إقدام محمد سعيد على قتل رسل المهدي يبدو أنه لم يستفد من تجربة الشلالي الذي قام بقتل رسل المهدي وكان لهذا الإجراء أثره السلبي وسط سكان الأبيض لأن رسل المهدي أظهروا مقدرة عالية على التحمل والصبر ومواجهة الموت بكل شجاعة .

كان الطريق ممهداً أمام المهدي للوصول إلى الأبيض وذلك بفضل العهود والمواثيق التي استطاع المهدي أن يعقدها مع رجال الدين والتجار داخل وخارج مدينة الأبيض ، كما أن أتباع المهدي استطاعوا أن يشعلوا الثورة في المناطق التي بها حاميات حكومية مثل اسحف والطيارة ❖ ، وبعد أن وصل المهدي بالقرب من الأبيض أرسل عدداً من الإنذارات يدعو فيها أهلها للانضمام [3].انضم إليه من داخل المدينة إلياس باشا أم

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 194.

[2]ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط4، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1968م، 131.

❖ اسحف والطيارة مدن في كردفان سيطر عليها الامام المهدي بعد اعلان الثورة

([3])محمد محجوب مالك ، مرجع سبق ذكره، ص 63.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بريز وعبد الرحمن بانقا، ومحمد علي إسماعيل ، وولد العريق ، وولد صالح سوار الدهب وهؤلاء من قادة العمل التجاري والديني والاجتماعي والذين عرفهم المهدي منذ زيارته الأولى لمدينة الأبيض ([1]).وعسكرت قوات المهدي في منهل (كابا) الذي يبعد ستة أميال جنوب غرب مدينة الأبيض ثم استدعى كل من الفكي (المنا إسماعيل) من التيارة وانضم للمهدي في الطريق عبدالله ود النور الذي عسكر بقواته في خور طقت شمال شرق المدينة ([2])

هجوم الجمعة على الأبيض 24شوال 1301هـ/8سبتمبر 1882م:

يعد هجوم الجمعة على مدينة الأبيض أول حادثة تصطدم فيها مثالية المهدي بالواقع، فقد كان المهدي يحقق انتصاراته بواسطة السلاح الأبيض ولم يستخدم السلاح الناري الذي تركة في قدير وقد نسي المهدي أن معاركه السابقة كانت تتم في العراء وأنه يستطيع بفاعلية وسرعة قواته أن يباغت العدو ويعمل على الحد من السلاح الناري ، ولكن هذه المرة المدينة محصنة بخندق قام محمد سعيد بحفره منذ أن قدم المهدي إلى قدير مما أعطى المدينة قوة إضافة وتم وضع عدد من المدافع على الأبراج التي تم بناؤها لحماية المدينة ضد هجمات المهدي المتوقعة . وقع أنصار المهدي فريسة للأسلحة النارية ولم يتمكن الأنصار من اقتحام المدينة وقد خسر المهدي في هذا الهجوم حوالي عشرة آلاف مقاتل وانسحبت قواته من المدينة([3]).

ما بعد الهزيمة :

بعد الهزيمة انسحبت قوات المهدي إلى منهل (الجنزارة)❖ وأشار عدد من أتباع محمد سعيد مدير الأبيض بمهاجمة المهدي لكنه رفض هذه الفكرة لخوفه من

([1]) محمد سعيد القدال ، الامام محمد أحمد المهدي ،مرجع سبق ذكره ، ص 122.

([2]) نفس المرجع ص 123.

([3]) محمد محجوب مالك ، مرجع سبق ذكره ، ص 64.

❖منهل الجنزارة واحد من مناهل المياه التي تقع بالقرب من مدينة الأبيض تجمعت فيه قوات الإمام المهدي قبل تحرير الأبيض.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مهاجمة الأبيض من قبل قوات المنا إسماعيل عند خروجه منها . تعد هزيمة الجمعة أو هجوم الجمعة الفاشل على الأبيض أول هزيمة تتلقاها قوات المهدية منذ أول انتصار لها في أبا ويقال إنّ الخليفة عبدالله طلب من المهدي الرجوع إلى قدير أو الذهاب إلى دارفور ليكون بعيداً عن الحكومة لكن هذا المقترح وجد معارضة شديدة من إلياس باشا أم برير الذي ارتبط مصيره بالمهدية لذلك اقترح على المهدي نقل معسكره إلى منهل الجنزارة بالقرب من الأبيض وإحضار الأسلحة النارية من قدير ووافق المهدي على ذلك ، وتحول بعد ذلك من أسلوب الهجوم إلى أسلوب الحصار بعد تكوين فرقة الجهادية وفي الوقت نفسه حاصرت قوات المهدي مدينة بارا بواسطة الفكي والمنا ورحمة محمد منوفلي [1].

إن هجوم الجمعة جعل المهدي يغير تكتيكه العسكري وذلك بتحوله من أسلوب الهجوم إلى الحصار ثم استخدامه للأسلحة النارية واستحداث فرقة جديدة وهي فرقة الجهادية التي أسهمت بصورة كبيرة في حصار وتحرير المدن مثل الأبيض وبارا والدلنج واسحف والتيارة.

قام المهدي بإحضار الأسلحة النارية من قدير وكون قوة جديدة عرفت بالجهادية❖ تحت قيادة حمدان أبوعنجة .

بعد أن علم الحكمدار عبدالقادر باشا حلمي بخطورة الموقف في كردفان وأن مدينة الأبيض مهددة من قبل قوات المهدي قام بإرسال حملة إنقاذ عبر بارا فلما علم المهدي بخبر الحملة أمر بردم الآبار مما ساعد على إرهاق هذه القوة وعند اقترابها من بارا في أكتوبر 1882م اعترضتها قوات المنا إسماعيل ورحمة محمد منوفل وتمكنوا من قتل قائدها وإبادة نصفها وفر النصف الآخر نحو الأبيض [2].

([1]) ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره ،ص 72.

❖الجهادية هم قوات الحكومة في الحاميات التركية أسرهم المهدي أثناء معاركه ضد الحكومة ومعظم أفراد الجهادية من النوبة والقبائل الجنوبية ، انظر ب.م هولت ، المرجع السابق ، ص 72.

([2]) المرجع نفسه، ص 72.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تحرير مدينة الأبيض :

سلمت مدينة بارا بواسطة قائدها في ذلك الوقت النور عنقرة الذي أصبحت له مكانة كبيرة في المهدية بعد حصار شديد للأمير عبد الرحمن النجومي في 6يناير 1883م بعدما فقدت الأمل في وصول حملة إنقاذ أخرى إليها وإعطاء المهدي الأمان لسكان المدينة الذين حضروا لمبايعة المهدي في منهل الجنزارة ([1]).

بعد تسليم مدينة بارا ضرب المهدي حصاراً شديداً على مدينة الأبيض بعد مشورة إلياس باشا أم برير الذي ذكر للمهدي أن هذا الحصار سوف يؤدي لتسليم المدينة بعد نفاد كمية الغلال التي داخل المدينة وانهيار الروح المعنوية للسكان وجنود الحكومة وإذا حاولت الحكومة أن ترسل حملة لفك الحصار سوف يعمل الأنصار على القضاء عليها قبل وصولها للأبيض([2]).اشتد الحصار على المدينة حتى أكل الناس الماشية النافقة وجلود الحيوانات ولحم الحمير والقرض والصمغ العربي وارتفعت أسعار الغلال وانعدمت في نهاية الأمر ولم يستطع الناس التحمل لذلك هرب الكثير من السكان من المدينة والتحقوا بمعسكر المهدي ([3]).

في نهاية الأمر اضطر محمد سعيد مدير الأبيض تسليم المدينة للمهدي في 15يناير 1883م ودخلها المهدي دخول الفاتحين كما هجم الأنصار على المدينة يبحثون عن الغنائم والأموال في مدينة عرفت في ذلك الوقت كأفضل مدينة تجارية في السودان ، كان لتحرير الأبيض مفعول السحر في نفس المهدي وأنصاره وثبت عملياً بعد هذا النصر أن التكتيك القتالي يتغير حسب المكان والزمان كما أعاد تحرير الأبيض الروح المعنوية للثورة المهدية التي كادت أن تندثر بعد هجوم الجمعة ([4]).

([1]) المرجع نفسه، ص 73.

([2]) يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، (تحقيق)، أحمد إبراهيم أبوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني، أمدرمان 2004م ، 86.

([3]) يوسف مخائيل ، مصدر سبق ذكره ، ص 89.

([4]) محمد سعيد القدال، الإمام محمد أحمد المهدي ، مرجع سابق ، ص 25.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الخامس

معركة شيكان 4محرم (1301هـ/5نوفمبر 1883م)

تُعَدُّ معركة شيكان أو (حملة هكس) من أهم وأميز معارك المهدية فقد استخدم فيها الإمام المهدي أفضل الأساليب العسكرية واستطاع أن يحقق النصر على القوات الإنجليزية المصرية ويكسر ما يعرف بالمربع الإنجليزي الذي عرف بصلابته في معارك الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس.

بعد اندلاع الثورة المهدية وتتابع انتصارات الإمام المهدي قامت بريطانيا بإرسال الكولنيل (استيورت) لكتابة تقرير عن الأوضاع في السودان حيث كتب تقريراً ضافياً جاء فيه (... وضباطهم يجهلون أبسط فنون الفنون العسكرية وليس في قدرتهم تنفيذ أهون التحركات والمناورات العسكرية وثلث الجنود يجهلون استخدام البنادق والكثير منهم يعتقدون أن للمهدي قوة سحرية ...) بعد هذا قامت الحكومة في القاهرة بعزل الحكمدار عبدالقادر باشا حلمي وعينت مكانه علاء الدين باشا وبذلك فقدت القاهرة أفضل رجالها في السودان وتم ترشيح الكولنيل (هكس باشا)❖ الضابط المتقاعد في الجيش الهندي للقيادة في مصر لقيادة أركان حملة القضاء على المهدي وانضم إليه عدد من الضباط الأوربيين منهم الميجور (فركهار) والكابتن (هيرلث) البريطاني والبارون (اسكندروف) البروسي الذي قاد حملة القاهرة نحو الخرطوم بصورة سريعة حيث وصلتها في 7مارس 1883م ([1]).

❖ هكس باشا ، هو وليم هكس الكولونيل في الجيش البريطاني في الهند ، انضم هكس إلى الجيش الهندي عام 57-1858م وشارك في حملة نيبير إلى الحبشة عام 1868م وكان عمره في ذلك الوقت 52 سنة ، ويعد ضابطاً متميزاً ، ولأنّ مجال الترقي أمامه كان ضعيفاً في الجيش الهندي بعد ضم شركة الهند الشرقية للجيش البريطاني وهو قد كان يعمل بها ، نتيجةً لذلك فكر في الحصول على وظيفة أخرى تدر عليه دخلاً أوفر، وعندما عُرض عليه تولي قيادة أركان الجيش المصري في السودان لم يتردد ، وهو قد تولى بعد عبد القادر باشا حلمي. انظر روبن نيللاند ، حروب المهدية ، (ترجمة عبدالقادر عبدالرحمن)، مطابع الوحدة ، أبوظبي ، 2002م .، ص93- 94.

([1]) عصمت حسن زلفو ، شيكان ، مرجع سبق ذكره، ص 74- 75.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

توترت العلاقة بين قادة الحملة هكس باشا والحكمدار علاء الدين باشا ونيازي باشا القائد العام للقوات وسبب هذا الخلاف أن هكس باشا يعتقد أن السلطة التنفيذية والعمليات يجب أن تكون تحت إدارته وفي الوقت نفسه كان لسليمان نيازي الحق في أن يصبح القائد للحملة وذلك بصفته القائد العام للجيش في السودان رغم هذه الخلافات استطاعت الحملة أن تحقق بعض النجاحات في النيل الأبيض ضد تجمعات (ود المكاشفي) و (عبدالله ود برجوب) وأتباعهما من (جهينة) و(اللحويين) و(الشنخاب) و(الكواهلة) وهذه العمليات كانت باقتراح نيازي باشا حيث أشار بتنظيف بعض الجيوب على النيل الأبيض وفعلاً تم تحقيق عدد من الانتصارات حتى وصل إلى الجبلين .ساهمت الخلافات بين قادة الحملة في أضعاف الروح المعنوية للجنود ولذلك تدخلت الحكومة المصرية وعملت على نقل نيازي باشا إلى البحر الأحمر وأصبحت بعد ذلك تحت قيادة علاء الدين باشا وهكس باشا.([1]).

أسهمت الخلافات بين قادة الحملة في إضعاف الروح المعنوية للجنود ولذلك تدخلت الحكومة المصرية وعملت على نقل نيازي باشا إلى البحر الأحمر وأصبحت بعد ذلك تحت قيادة علاء الدين باشا وهكس باشا.

تكوين الحملة:

تكونت حملة هكس من أثني عشر آلف وتسعمائة من الأفراد والمقاتلين تحركت في شكل صندوق فيه خمسة بلوكات من الباش بوزق وأربعة آلاف مدفع (كروب) وعشرة مدافع جبلية وستة مدافع (نورد فلوت) وستة مدافع رشاش (متر اليوز) وصاحب الحملة 2000 تابع وإداري كما تحميل المؤن والأسلحة على عشرة آلاف من الدواب وتحركت الحملة من الدويم في 27 سبتمبر عام 1883م ([2]).

([1]) المرجع نفسه، ص 76- 77.

([2]) محمد سعيد القدال ، الإمام محمد أحمد المهدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 126- 127.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

صحب الحملة عدد من مراسلي الصحف البريطانية بغرض التوثيق وكتابة تقارير صحفية حية عنها ومن الصحف التي صاحبت الحملة مراسل صحيفة (التيمس) و(الديلي نيوز) و(الغرافيك) كما قام هكس باصطحاب عدد من السودانيين بغرض أن يصبحوا حكاماً على كردفان بعد القضاء على المهدي مثل (قناوي بك أبو عموري) و (بساطي بله المحسي) باش كاتب الخرطوم و(حمد بك التلب الجعلي) رئيس محكمة الاستئناف و(محمود بك أحمداني الكنزي) مدير الخرطوم و (عبد الرحمن بك بانقا الجعلي) كما قام بالإبقاء على الكولنيل (ده كولتجن)من أركان حربه في النيل الأبيض بين الخرطوم وفشودة لمنع السكان من الالتحاق بالمهدي في الأبيض ([1]).

كانت حملة هكس عبارة عن مزيج من المصريين والسودانيين والأتراك وبعض الضباط الأوربيين من مجتمعات مختلفة وتدريب عسكري مختلف بالإضافة لكل ذلك ليس لهم هدف واضح أو رابط عقائدي فالضباط الأوربيين عبارة عن مرتزقة تدفعهم المغامرة والقوات المصرية هي بقايا جيش عرابي تم إحضارهم للسودان مقيدين بالسلاسل والأغلال والجنود السودانيون محترفون لمهنة الجندية يعملون للحفاظ على مهنتهم والاستمرار فيها ، والعدد الضخم من الدواب فهو يعيق سير الحملة وهي في حاجة دائمة للماء والأعشاب والاتباع من غير المحاربين هم عبء إضافي على قادة الحملة من حيث الاهتمام ([2]).

ترتيب المهدي لمواجهة الحملة :

كان المهدي على علم تام بخبر الحملة منذ تحركها من الخرطوم بواسطة استخباراته وظلت الأخبار تأتيه تباعاً وبعد مغادرة الحملة (للدويم) أرسل المهدي مجموعة من قواته لمناوشة الحملة دون الالتحام معها بقيادة محمد عثمان أبوقرجة وعبد

([1]) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية (من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم) ،ج2،دار جامعة الخرطوم ،1984م، ص 26- 27.

([2]) المرجع نفسه، ص 127.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الحليم وعامر إلياس أم برير [1].قام المهدي بإرسال المنشورات للقبائل التي تفرقت بعد تحرير الأبيض كما خرج من المدينة بقواته وإعداد معسكر ضخم تجمعت فيه كل القبائل الموالية له وكان يشرف على التدريب القتالي بنفسه كما قام بإرسال الخطابات للقبائل المقيمة حول الطريق الذي تقرر أن تسلكه الحملة يأمرهم بإخلاء الطريق [2].

نجح الإمام المهدي في استخدام الحرب النفسية تجاه قوات الحملة المتحركة نحوه في الأبيض كما استفاد من العوامل الجغرافية والمناخية المتاحة في المنطقة لكي يحقق نصراً كبيراً على هذه الحملة وقد أسهمت الإجراءات التي اتخذها المهدي في زرع الخوف في جنود الحملة ، ومن الواضح أن المهدي كان يخطط لهذه المعركة وهو أحسن حالاً من قادة الحملة .كانت الأبيض تبعد عن الدويم 250ميلاً لذلك تحركت الحملة عبر الطريق الذي تم اختياره بواسطة علاء الدين باشا وهو(شات، هجليجة ، أم دبيكرات، الأضية ، الرهد ، علوبة حتى وصل إلى فولة المصارين في 3نوفمبر 1883م حيث قام هكس بإرسال خطاب للمهدي يتوعده فيه بالهزيمة إذا لم يستسلم لجيشه المتقدم نحوه في الأبيض [3].

تقسيم جيش المهدي:

لمواجهة حملة هكس قسم المهدي جيشه إلى راياته الثلاثة والتي ظهرت منذ قدير وهي الراية الزرقاء لأهل الغرب والراية الخضراء لقبائل النيل الأبيض والراية الحمراء لقبائل شمال السودان وأهل الجزيرة ، وقد كانت الراية الزرقاء تحت قيادة الأمير يعقوب (جراب الرأي) والراية الخضراء تحت قيادة الأمير موسى ود حلو والبشير عجب الفيه ، والراية الحمراء تحت قيادة الأمير عبد الرحمن النجومي ، وقوات الجهادية

([1]) محمد سعيد القدال، الإمام محمد أحمد المهدي ،مرجع سبق ذكره ، ص 127.

([2]) محمد محجوب مالك ، مرجع سبق ذكره ، 68.

([3]) عبد المحمود أبو شامة ، مرجع سبق ذكره ، ص53.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تحت قيادة حمدان أبو عنجة وقد كان عدد قوات الجهادية عند مواجهة هكس قد بلغ ستة آلف مقاتل تم تقسيمهم إلى أرباع [1] .

وصل الخلاف مداه بين هكس وعلاء الدين باشا حتى قيل إن أكثر الجنود والضباط يظهرون الكراهية لهكس وعدم الطاعة له وفي يوم الجمعة 1محرم 1301هـ وصلت الحملة إلى غابة شيكان وفي اليوم الثاني سيطرت قوات المهدي على (البركة) وهي مكان تتجمع فيه المياه في فصل الخريف وكان الغرض من ذلك أن لا تتمكن قوات الحملة من السيطرة عليها وكان عدد قوات المهدي كما ذكرهم إبراهيم فوزي خمسين ألف مقاتل مسلحين بمختلف الأسلحة ، ونتيجة للعطش الشديد فر أحد جنود الحملة لمعسكر المهدي وأخبره بكل التفاصيل عندها قرر المهدي مواجهة الحملة وكان ذلك في يوم 4محرم 1301هـ [2].

دخلت قوات هكس إلى غابة شيكان وهي في حالة من الإعياء وقلة المياه وفي يوم 5 نوفمبر 1883م انقسمت الحملة إلى ثلاثة مربعات عندها أعطى المهدي أتباعه إشارة الهجوم وتحولت المعركة إلى مذبحة وقتل العديد من الضباط والجنود وتمت إبادة معظم الحملة وقتل من الأوربيين (آودو نوفان) ❖ و(فيزتلى)❖ والأوربي الوحيد الذي نجى من الحملة يدعى (جوستاف كلوتز)❖ الذي انضم لمعسكر الرهد في الرهد وهكذا تم القضاء على أكبر حملة تم إرسالها للقضاء على المهدي في عقر داره وبعد سبعة أيام من الانتصار دخل المهدي مدينة الأبيض في موكب مهيب يحفه النصر من كل جانب ويتحلق حوله الأنصار ومعه عدد من الأسرى الذين تم القبض عليهم بعد القضاء على الحملة ([3]).

([1]) المرجع نفسه، ص55- 56.

([2]) ابراهيم فوزي ، مصدر سابق ،ص 150- 151.

❖آودونوفان هو مراسل جريدة الديلي نيوز البريطانية كان مرافق لحملة هكس .❖فيزتلي هو رسام جريدة (لندن نيوز) البريطانية رافق حملة هكس للقضاء على المهدي في كردفان ❖جوستاف كلوتز هو الأوربي الوحيد الذي نجى من حملة هكس بعد القضاء عليها بواسطة قوات المهدي ، انظر ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره ، ص 84- 85.

([3]) ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره، ص 84- 85.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أسهمت الخلافات بين قادة الحملة في سرعة القضاء عليها من قبل المهدي كما أن هذه الخلافات المتواصلة أفقدت الحملة التركيز في المهمة الرئيسية وهي القضاء على المهدي.

نتائج معركة شيكان:

ترتب على انتصار المهدي في معركة شيكان والقضاء على حملة هكس عدد من النتائج والتي تتمثل في :

- أصبحت للمهدي سمعة داخلية وخارجية كبيرة جداً حيث وصلت إليه بعض الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش .
- أصبح هم المهدي بعد هذا الانتصار الحاسم السيطرة على الخرطوم والقضاء على الحكم التركي المصري نهائياً في السودان .
- قامت الحكومة بسحب حاميتها البعيدة إلى الخرطوم لكي لا تقع في قبضة المهدي مثل الكوة وفشودة والدويم مما مهد الطريق أمام المهدي للزحف نحو الخرطوم بعد ذلك.
- كسب المهدي مادياً ومعنوياً.
- استطاع المهدي بعد شيكان أن يعزل دارفور وبحر الغزال وخط الاستواء عن الخرطوم وسيطر عليهم بعد ذلك.([1]).

([1]) المرجع نفسه ، ص 85- 86.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث السادس

تحرير الخرطوم 26يناير (1885م /1304هـ)

بعد الانتصارات التي حققها المهدي في كردفان وقضائه على حملة هكس قررت الحكومة المصرية إخلاء السودان ولذلك تم اختيار عبدالقادر باشا حلمي الحكمدار السابق للسودان والذي رفض هذه المهمة ثم وقع الاختيار على الضابط البريطاني غردون باشا وقد وافق غردون على هذه المهمة مرتكزاً على خبرته السابقة في السودان حيث عمل مديراً على خط الاستواء ثم حكمداراً على السودان في عهد الخديوي إسماعيل باشا ([1]).

تحرك غردون من القاهرة إلى أسوان وفي صحبته الكولنيل (استيورت) الضابط المصري إبراهيم فوزي وبعد أن وصل إلى بربر قام بإرسال خطاب للمهدي في الأبيض مع بعض الهدايا ليعينه حاكماً على كردفان وطلب منه فك الأسرى الأوربيين والعمل على إعادة التجارة بين كردفان وباقي مناطق السودان كما طلب منه العمل على إصلاح خط التلغراف بين كردفان والخرطوم ، كان الغرض من هذا الخطاب إشاعة الفرقة بين أتباع المهدي بعد هذا العرض السخي حسب رواية (استيورت) فقد كان غردون يطمح في أن يعمل أتباع المهدي على إقناعه بهذا العرض([2]).

تم تبادل الخطابات بين المهدي وغردون منذ أن كان الأخير في بربر وقد بلغت هذه الرسائل ثمانية رسائل وملحقين وجاء في إحدى خطابات غردون للمهدي (... وإن كان حضرتكم تريد أن تكون سلطاناً على كردفان فقد أعطيناها لكم لتكون سلطاناً عليها ...)([3]). وفي خطاب آخر يدعو المهدي غردون باشا لترك المسيحية واعتناق الإسلام

([1]) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ،دار الثقافة ،بيروت، 1980م، ص674.

([2]) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) ، مرجع سبق ذكره، ص 680.

([3])منشورات المهدي، (تحقيق) محمد ابراهيم أبوسليم ،دارالجيل،بيروت،لبنان،1979م، 319.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وهو إن اتبع المهدي حاز على شرف الدنيا والآخرة وإلا هلك وكان عليه إثمه وآثام جميع من اتبعه ([1]).

يمكن القول إن غرور غردون باشا منعه من أن يرى المكانة التي وصلها المهدي ومدى تماسك قواته وانصياعهم له وفي الوقت نفسه أن سيطرة المهدي على كردفان أصبحت حقيقة وكذلك دارفور وبحر الغزال وشرق السودان وأن الثورة اشتعلت في معظم مناطق السودان وأصبحت الخرطوم هي المحطة القادمة.

حصار الخرطوم

لفرض حصار مبكر على الخرطوم قام بإرسال محمد عثمان أبو قرجة إلى الخرطوم بغرض حصار المدينة وأطلق عليه لقب (أمير البرين والبحرين) كما نادى المهدي بالنفير العام في الجزيرة والمناطق المتاخمة للخرطوم ووصل أبوقرجة ونزل في منطقة الجريف جنوب الخرطوم([2]).

لتشديد الحصار على الخرطوم تولى العبيد ود بدر مهمة الحصار من جهة الشرق لكن قواته تعرضت لعدد من الهزائم وطلب المدد من المهدي ، وقد كان غردون بعد وصوله للخرطوم قد سعى إلى تحصينها والدفاع عنها في مواجهة المهدي، أما المهدي فقد تحرك بعد ذلك من الأبيض في جيش كبير حتى وصل إلى الرهد ([3]).

تمكنت قوات الشيخ محمد الخير أستاذ المهدي في مارس من العام 1884م من قطع خط التلغراف الواصل بين القاهرة والخرطوم مما ضاعف عزلة المدينة وانقطاعها عن العالم الخارجي في ذلك الوقت كانت أمام غردون باشا فرصة تاريخية للهرب من الخرطوم في الفترة بين 18 فبراير تاريخ وصوله و12مارس بداية الحصار على الخرطوم

([1]) عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدية ، المهدي السوداني ودعوته ، مكتبة الأدب ، القاهرة ،2001م ، ص 260.

([2]) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة و النشر، الخرطوم، 2007م، ص 804.

([3]) محمد محجوب مالك ، مرجع سق ذكره، ص 69.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بمن معه من الموظفين المصريين وغيرهم من الأجانب وذلك عبر بربر لكنه أضاع هذه الفرصة التاريخية لأن طريق بربر كان مفتوحاً وآمناً لخروجه ([1]).

تحصين الخرطوم من قبل غردون باشا :

لزيادة التحصينات حول المدينة ولمنعها من السقوط في يد قوات المهدية عمل غردون باشا على وضع الألغام وكتل الحديد داخل النيل في موسم ارتفاع المياه وزيادة حفر خندق في الجهة الجنوبية من المدينة ، وفي ذلك الوقت قام المهدي بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي الأمير العام على الجيش إلى الخرطوم حيث كتب لغردون يطلب منه التسليم فكان رد غردون باشا (... لست مبال بك ولا بسيدك المهدي ...)([2]).

بعد نزول حمدان أبوعنجة في أم درمان نجح في أن يسيطر على الطوابي التي تحمى الخرطوم من جهة أم درمان وقد ساعد ذلك في رفع الروح المعنوية للمهدي، الشيء الذي انعكس إيجاباً على قواته، وأصبحت السيطرة على أم درمان هي المفتاح الحقيقي للسيطرة على الخرطوم بعد ذلك، بعد أن ازداد الضغط على المدينة بفضل الخطة المحكمة التي وضعها المهدي لخنق المدينة.

بعد السيطرة على أم درمان، عمل المهدي على تشديد الحصار أكثر على الخرطوم، ولذلك طلب الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل في الفاشر مد قوات المهدية بالأسلحة الموجودة معه، وقد حدد الخليفة عبد الله لمحمد خالد زقل سلاح الرمنتجون.([3])

وفي خطاب آخر بتاريخ 20 صفر 1302هـ/1884م ألح الخليفة على محمد خالد زقل في طلب الأسلحة لأنّ تحرير المدينة يحتاج إلى المزيد من الأسلحة، ولأنّ الحصار مضروب من ثلاثة جهات ولحاجة القوات للبارود عليه أن يرسل بارود المدافع

([1]) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، (1820- 1899) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م ، 3337.

([2]) مكي شبيكة ، الخرطوم بين المهدي وغردون ، مطبوعات لجنة الدراسات الاضافية ، جامعة الخرطوم ،1986م، ص 21.

([3]) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 8 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص200.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والجُلَل.[1] وطلب الخليفة من محمد خالد أيضاً الاستعانة بالإبل واستئجارها من عرب دارفور.وحدد الخليفة عبد الله حاجة القوات من الأسلحة لمحمد خالد زقل بأن لا تقل عن حمولة ألفي بعير، وهي الكميات التي طلبها المهدي.[2]

كان طلب الدعم العسكري والحربي من محمد خالد زقل تصرفاً عسكرياً مهماً وذلك لتشديد الحصار على المدينة المتهالكة، وإحضار المزيد من الأسلحة والذخيرة يعمل على رفع الروح المعنوية لقوات المهدية المتربصة بقوات غردون.

لقد ساهمت الفاشر بصورة كبيرة في مد قوات المهدية بالأسلحة وفي تحرير المدينة، وتسريع عملية نقل الأسلحة من دارفور إلى الخرطوم.إضافةً للأسلحة والبارود التي طلبها الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل، طلب منه إرسال أعداد من قوات (البازنقر) وهي القوات التي كانت تتبع للزبير باشا رحمه في بحر الغزال ، والجهادية، وذلك لدعم القوات المحاصِرة للمدينة (... عجّلوا بإرسال جانباً من الجهادية وجانب من البازنقر بأسلحتهم الطرفين وجانب من الخيول ...).[3]

معركة أبي طليح وتحرير الخرطوم :

رغم الهزيمة التي تعرضت لها قوات المهدية في أبي طليح وهي تسعى لمنع وصول حملة الإنقاذ إلى الخرطوم إلا أنها تعد من المعارك المهمة في تاريخ المهدية حيث أن هذه المعركة نجحت في تأخير حملة الإنقاذ مما ساعد المهدي على الانقضاض على الخرطوم.بعد أن وصلت أخبار هزيمة قوات المهدية في أبي طليح إلى المهدي، عقد مجلس حربي فيه الخلفاء وكبار الأنصار وأقاربه، طُرحت فكرة الانسحاب إلى كردفان، وجدت الفكرة في البداية بعض التأييد، وكان أكبر المعارضين لها محمد عبد الكريم خال المهدي، ونتيجةً لمعارضته قرر المجلس الهجوم قبل أن تصل قوات الإنقاذ،

([1]) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 20 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص202.

([2]) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 22 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص206.

([3]) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 28 ربيع أول 1301هـ، ديسمبر 1883م، ص157.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وما عزز فكرة الهجوم ما ورد على لسان بعض الهاربين من المدينة حيث أوضح للمهدي نقاط الضعف في بعض المناطق والتي يمكن من خلالها دخول المدينة.[1]

انهيار استحكامات الخرطوم:

كانت الخرطوم تحيط بها العديد من الاستحكامات، مثل الكلاكلة وبري، والقوات التي تم توزيعها على هذه الاستحكامات بلغ عددها خمس أورطات من الجنود و25 أوردي من الباش بوزق والشايقية، وتم حفر خندق بين النيلين الأبيض والأزرق لحماية المدينة ووضعت عليه الأسلاك الشائكة والمسامير الحديدية (الضِريسَة)*، وكان الهدف من وضع الضريسة والتحصينات أن تعيق الدخول إلى داخل المدينة، ولكن المهدي كان يعرف كل شيء وذلك عبر الذين فروا منها. في مساء الأحد جماد الأولى (1305هـ/ 25 يناير 1885م) عَبَرَ المهدي النيل الأبيض إلى معسكر النجومي وتشاور معه في شأن الهجوم، استقر الرأي على أن يكون الهجوم في فجر الاثنين الثاني من جماد الأولى1305هـ/ 26 يناير 1885م، وعند الفجر بدأ الهجوم على المدينة، واختار المهدي هذا التوقيت لكي لا تتمكن القوات الحكومية من إلحاق الخسائر بجنوده.[2]

كان النجومي صاحب قيادة الهجوم من جهة النيل الأبيض ومعه 40 ألف مقاتل، واستطاع اختراق الدفاعات عبر فتحة صغيرة بين الاستحكامات، وكان هناك ما يقارب 20 ألف جندي منتشرين في مواجهة الدفاعات. وبعد وصول جيش النجومي بدأت القوات المواجهة للاستحكامات في الهجوم، واستطاعت المجموعة الأولى من قوة

([1]) ب.م هولت، مرجع سبق ذكره، ص121.

*الضريسة، هي عبارة عن قطع الحديد التي يتم تجميعها مع بعضها، وهي ذات رؤوس حادة استخدمها غردون باشا للدفاع عن مدينة الخرطوم، حيث قام بغرسها في الطين لمنع الأنصار من دخول الخرطوم، انظر حاتم الصديق محمد أحمد، دور الأمير يعقوب في المهدية ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2009م، ص48.

([2])حاتم الصديق محمد أحمد ، مرجع سبق ذكره، ص48.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأنصار الوصول إلى مقر غردون وقتله وتحررت المدينة في وقت وجيز وكان ذلك في 26 يناير 1885م.[1]

بعد تحرير المدينة دخلها المهدي ومعه الأنصار وصلى بها صلاة الجمعة وقد ذكر هولت أن المهدي أراد أن يتخذها عاصمة له وتم إعداد منزل كبير للمهدي كما أن الخليفة عبدالله اتخذ من مبنى الحكمدارية مقراً له وأعدت منازل أخرى لكبار القادة ولكن تغيرت الخطة بعد ذلك وأصبحت أم درمان عاصمة الدولة الوليدة ، لم يمكث المهدي كثيراً بعد تحرير الخرطوم حيث توفي في 9رمضان 1302ه/22 يونيو 1885م بعد إصابته بالحمى [2].

([1]) نفس المرجع، ص49.

([2]) ب.م هولت ، مرجع سابق، 122.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الثاني

معارك الدولة المهدية

المبحث الأول:

معركة القلابات 9مارس 1889م / 1307هـ):

لم تكن الجبهة الحبشية من ضمن أولويات الخليفة عبدالله الذي تولى السلطة بعد وفاة المهدي لكن تدخلت عدد من العوامل جعلت من الخليفة ينتبه لعلاقته بالحبشة ومن هذه العوامل القوات المرابطة بالقلابات إذا تركت دون حرب سوف تعمل على التعدي على مناطق الإنتاج والقضارف ليست ببعيدة عن القلابات، ،أضف إلى ذلك أن قوات المهدية في تلك المناطق قد بلغت ستين آلف مقاتل ([1]).

تعاقب على عمالة القلابات كل من محمد ود أرباب الذي قتل على يد الأحباش ثم يونس ود الدكيم وحمدان أبوعنجة وتم عزل يونس ود الدكيم وأرسل إلى دنقلا في العام 1888م وأصبح حمدان أبوعنجة القائد العام للجيش وأميراً على القلابات . هاجم حمدان أبوعنجة الحبشة في 9 يناير 1888م بجيش ضخم قسمه على أرباع وعلى كل ربع قائد من قواده وهم أحمد ود على وعبد الله ود إبراهيم والزاكي طمل وعربي دفع الله ([2]).

حققت قوات حمدان أبوعنجة العديد من الانتصارات على الأحباش وعمل على تحصين القلابات ضد الهجمات المحتملة من قبل الأحباش لأن الملك يوحنا فكر في مهاجمة المدينة وخطط لذلك رداً على الهزائم التي مني بها ، استنفر الملك يوحنا كل الأحباش بغرض تحقيق نصر حاسم وسريع على الانصار ، تمكن يوحنا من حشد 250 ألف مقاتل معهم زعماء الأحباش وقادة المناطق مثل (الرأس عدل) و(الرأس الوله) وهيلا مريم وصالح شنقة زعيم التكارير وزحف بجيشه نحو القلابات ([3]). بعد أن

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص 283.

([2]) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، مصدر سبق ذكره ، ص 1064.

([3]) المصدر نفسه ، ص 1076- 1077.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وصلت أخبار هذه الحملة لحمدان أبو عنجة عمل على تحصين المدينة بزريبة ضخمة وسور داخلي لحماية العائلات والذخائر والغلال وجعل للزريبة أربعة أبواب وعلى كل باب مدفع ، وقبل أن يكمل حمدان أبوعنجة بناء الزريبة أصابته الحمى فمات في 29يناير 1889م فكانت وفاته صدمة لكل الجيش المرابط في القلابات وللخليفة عبدالله في أم درمان لأنه يعد من أميز قادة المهدية ([1]).

بعد وفاة حمدان أبوعنجة عين الخليفة عبدالله الزاكي طمل قائدا للجيش وأميراً على القلابات فتمت مبايعة الزاكي طمل من عموم الجيش وقد كان الزاكي طمل من أبرز قادة المهدية وله خبرة ودراية بالحرب واستعداداً لمواجهة يوحنا والجيش الحبشي أكمل تحصين المدينة واستنفر القبائل، وقد كان يوحنا يخطط للسيطرة على القلابات ويجعلها الحد الفاصل بينه والمهدية ([2]).

حاصرت قوات الملك يوحنا القلابات في يوم 6رجب 1306هـ/1888م وشرعت قواته في ضرب المدينة بالأسلحة النارية (المدافع والبنادق) وكان عدد قوات الأنصار في المدينة 75 ألف مقاتل وقد كان إطلاق النار كثيفاً من قبل الأحباش وقد ردت قوات الأنصار بوابل من النيران تجاه الأحباش وانطلق غبار كثيف غطى الأفق واستمرت الحرب لمدة خمس ساعات ولاحت بشائر النصر للأنصار([3]).

تبين ليوحنا أن قبيلته الأمهرة أظهرت شجاعة فائقة في القتال بينما قبيلة التقري كانت ضعيفة الأداء عندها تقدم الصفوف ليحث قواته على القتال وقد تقدم وهو محمول على كرسي عليه الملابس الإمبراطورية الزاهية وحوله حشد من الأتباع عندها وجه الأنصار أسلحتهم تجاه هذا الحشد ويعتقد الدكتور محمد سعيد القدال أن الأنصار لم يكونوا يعرفون أن هذا الموكب يضم ملك الحبشة فاخترقت إحدى

([1]) المصدر نفسه ، ص 1077.

([2]) إسماعيل عبدالقادر الكردفاني ، الحرب الحبشية السودانية ، (1885- 1888م) ، (الطراز المنقوش ببشرى يوحنا ملك الحبوش) ، (تحقيق) محمد ابراهيم ابوسليم ، محمد سعيد القدال ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م، ص 94- 96.

([3]) المصدر نفسه، ص 100- 101.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

رصاصات الأنصار ذراع يوحنا وأصابته إصابة مميتة عندها طلب الإمبراطور من ابنه التراجع إلى داخل الحبشة وقد نجحت تلك الرصاصة في أن ترجح كفة الأنصار وتحولهم من الهزيمة إلى النصر([1]).

بعد مقتل يوحنا لاحقت قوات الزاكي طمل فلول الأحباش حتى نهر عطبرة واستطاع أن يقتل الكثير منهم ويسبي مجموعات أخرى وأخبر الخليفة عبدالله بذلك ([2]).

غنائم الأنصار من القلابات :

غنم الأنصار من الأحباش بعد معركة القلابات الكثير من الذهب منها طاقية من الذهب الخالص وعدد من الصلبان الذهبية وسوار من الفضة وعدد كبير من الأسلحة حيث حصل الأنصار على 1186 من الأنواع المختلفة من الأسلحة منها بندقية (رمنتجون) و (أبو لفته) و(خشخشان) وعدد كبير من الذخيرة ([3]).تمكن الأنصار كذلك من الحصول على جثمان يوحنا ملك الحبشة وقاموا بقطع رأسه وأرسلوه للخليفة في أمدرمان مع عدد كبير من قادته الذين تم أسرهم كما خسر الأنصار في هذه المعركة حوالي 2600 مقاتل ([4]).

الناظر لمعركة القلابات يجد أن النصر كان إلى جانب الأحباش في بداية المعركة لكن إصرار الأنصار على الدفاع عن مدينتهم ومهاجمة موكب يوحنا مكنهم من تحقيق نصر مهم وقتل يوحنا ملك الحبشة الأمر الذي مثل قاصمة الظهر للجيش الحبشي ، وقد أعطى الانتصار على الأحباش الخليفة عبدالله الدافعية والحماس لغزو مصر بعد ذلك.

([1]) محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة ، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهدية (1881- 1898م)، دار الجيل ، بيروت ، 1992م، ص 142- 143.

([2]) نعوم شقير ، مصدر سبق ذكره ، ص 1078.

([3]) المصدر نفسه ، ص 1083.

([4]) روبن نيللاند ، حروب المهدية ، (ترجمة عبدالقادر عبد الرحمن)، مطابع الوحدة ، أبوظبي ، 2002م ، ص 201.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني

معارك الأمير عثمان دقنة في شرق السودان

مثل شرق السودان نقطة انطلاق مهمة للثورة المهدية وذلك بعد أن التحق عثمان دقنة بالإمام المهدي في الأبيض ولقبه بأمير الشرق وبعث به إلى شرق السودان ليعمل على نشر المهدية في تلك المناطق ومن الأبيض توجه الأمير عثمان دقنة إلى قبائل البشاريين والأمرأر وعمل على دعوتهم للمهدية واستجاب الكثير منهم وانضموا لحركة المقاومة في شرق السودان وكان ذلك إيذاناً ببداية الثورة المهدية في الشرق ([1]).

أسهمت الطائفة المجذوبية في تعزيز روح المقاومة في نفس الأمير عثمان دقنة وأعطته دفعة قوية لمواصلة الثورة في شرق السودان . ويمكن القول إن لقاء الإمام المهدي بالأمير عثمان دقنة في الأبيض كان له ما بعده حيث كمل كل واحد منهما الآخر فعثمان دقنة صاحب المبدأ الناقم على الحكم التركي يبحث عن الثأر لنفسه وعقيدته وعشيرته والإمام المهدي يبحث عن نشر المهدية في كل السودان وبذلك اتحدت رؤية وقدرات الرجلين . كان عثمان دقنة الرجل الأنسب لتقلد زمام المهدية في شرق السودان وذلك لمعرفته بشرق السودان وقبائله وقد استطاع الأمير عثمان دقنة بخبرته وحنكته الاستفادة من الطريقة المجذوبية في جذب الأتباع وتحقيق العديد من الانتصارات .

الأسلوب القتالي عند الأمير عثمان دقنة :

يلاحظ أن الأسلوب القتالي المستخدم عند الأمير عثمان دقنة كان يتغير من معركة إلى أخرى وهو يشبه أسلوب الإمام المهدي القتالي حيث تدرج من الهجوم للحصار وتُعد معركة أوكاك (سنكات) أول معركة يستخدم فيها عثمان دقنة أسلوب الهجوم ويمكن وصفه بالهجوم الانتحاري ، ثم توالت معارك عثمان دقنة في شرق السودان حيث جاءت معارك قباب حيث استخدم فيها عثمان دقنة أسلوب حرب العصابات وهو أسلوب استخدمه أمير الشرق لضرب تحصينات المدن في شرق السودان،

([1]) عثمان دقنة ، (تحقيق) محمد ابراهيم ابو سليم دار الجيل ، بيروت، 1991م ، ص، 60.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أوكاك (سنكات) ،واقعة الساحل الأولى (التيب) الأولى، واقعة الساحل الثانية (التيب) الثانية، واقعة الساحل الثالثة (التيب) الثالثة ، واقعة كسلا ، واقعة اتبره ، واقعة (التمنيب الأولى)، واقعة (التمنيب الثانية)، واقعة محمود على (تهشيم) ([1]).

واقعة الساحل الأولى (التيب الأولى)1301هـ/5- 11 نوفمبر 1883م :

تعرف واقعة الساحل الأولى باسم (التيب) وهى تحريف للكلمة البجاوية (انديتيب) والتي تعني الساحل وقد حدثت هذه الواقعة بعد أن قرر الأمير عثمان دقنة مهاجمة سنكات (أوكاك) ([2]).

حيث أرسل الأمير عثمان دقنة الخضر على الخضر لحصار طوكر فقرر سليمان نيازي مدير شرق السودان إرسال حملة بقيادة محمود باشا طاهر لفك الحصار عن طوكر وصحب الحملة قنصل بريطانيا في سواكن (مونكريف) وعندما تقدمت الحملة من(ترنكتات) نحو طوكر هجمت عليها قوات الأمير عثمان دقنة ففر بعضهم منها عبر البحر إلى سواكن وقتل عدد كبير من جنودها كما قتل (مونكريف) قنصل فرنسا في هذه الواقعة وفي ديسمبر من عام 1883م استطاع عثمان دقنة إبادة حملة أخرى كانت في طريقها نحو سنكات ([3]).

قدر عدد قوات هذه الحملة بـ 55 رجلا وبعد مقتل مونكريف وفرار محمود باشا زادت الروح المعنوية لدى أنصار عثمان دقنة وتم وصف محمود عبدالقادر بالجبن وتم عزله من منصبه بعد هذه الواقعة ([4]).

واقعة الساحل الثانية (التيب) الثانية 1301هـ/ 4نوفمبر 1884م:

فكر عثمان دقنة في حصار مدينة سواكن ولتحقيق ذلك بعث مصطفى على هدل بغرض إثارة القبائل حول كسلا ثم حصارها . ثم نجح عثمان دقنة في قطع الطريق

([1]) المصدر نفسه ، ص 78- 79.

([2]) المصدر نفسه ، ص 59.

([3]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 209.

([4]) مذكرات عثمان دقنة ، مصدر سبق ذكره ، ص 60.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التجاري بين سواكن – بربر الذي ترسل به التعزيزات إلى الخرطوم فأصبح بذلك الوضع في غاية الخطورة بالنسبة لبريطانيا ولكي لا تسقط كسلا في يد عثمان دقنة قررت السلطات البريطانية في مصر حملة بقيادة فالتين بيكر أخ صمويل بيكر مكونة من 3600 من (الجندرمة) وهم قوات البوليس التي تم تكوينها بعد تسريح جيش عرابي ([1]).

يشير مكي شبيكة في كتابه السودان والثورة المهدية إلى أن مهمة هذه الحملة كانت بوليسية تتركز على حفظ الأمن لكن بيكر عمل على إعدادها إعداداً عسكرياً ومن مهامها حماية الطريق التجاري بين سواكن – بربر الذي وقع تحت سيطرة قوات عثمان دقنة ، لكن في 9 يناير صدرت الأوامر لبيكر بالتخلي عن فتح الطريق التجاري وان يعمل على إنقاذ كل من سنكات وطوكر ولكن رغم هذه المهام إلا أن معنويات قواته كانت في الحضيض وقد وضح ذلك منذ لحظات وداعهم في القاهرة وفي الوقت نفسه لم يكن لهم دافع للقتال ([2]).

كان بيكر يفاضل بين إنقاذ سنكات وطوكر فسنكات كانت في أسوأ حالاتها لأنها تواجه الموت جوعاً أما طوكر فقد كانت تعاني من نقص الذخيرة وقد وقع اختيار بيكر على إنقاذ طوكر وذلك لصعوبة إنقاذ سنكات ، وقد تحركت قواته نحو آبار التيب ووجد قوات عثمان دقنة تسيطر عليها وتشكلت قواته في شكل مربع وهو أسلوب قتالي معروف عند الإنجليز عندها هجمت قوات الأمير عثمان دقنة على المربع مما أدى إلى فرار فرقة القاهرة والإسكندرية وانقلبوا على المربع وفرت القوات الإنجليزية المصرية من المربع وتخلوا عن أسلحتهم وتم القضاء على الكثير من جنود الحملة ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ،ص 209.

([2]) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 50- 51.

([3]) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية ، ج3 ، مرجع سبق ذكره، 59.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

قتل ألفين من جنود الحملة وفر بيكر مع فلول قواته إلى سواكن وتردى الوضع في سنكات وفشل وصول النجدات إليها فقرر قائدها الخروج منها بكل من معه وعلى بعد ميل من المدينة تمت إبادتهم واستطاع عثمان دقنة السيطرة على سنكات وفي نفس شهر فبراير استسلمت طوكر ([1]).

غنم عثمان دقنة من معركة التيب الثانية 6 مدافع و3000 بندقية و5000 قطعة ذخيرة وتعد من اهم معارك الأمير عثمان دقنة في شرق السودان ([2]).

أسهم سقوط سنكات وطوكر وهزيمة بيكر في حدوث اضطرابات في سواكن وبعد أن أصبحت المصالح البريطانية في شرق السودان مهددة تخلت بريطانيا عن حذرها، وقررت إرسال ثلاث فرق بقيادة الجنرال جرهام إلى سواكن والغرض الرئيس من هذه الحملة تخفيف الضغط عن سواكن وإظهار قوة بريطانيا وفي نهاية شهر فبراير تحرك (جرهام) من (ترنكتات) واستطاع هزيمة الأمير عثمان دقنة وتمكن كذلك من احتلال طوكر ولكن أخلاها بسرعة وتراجع إلى سواكن والسبب في هذا التراجع السريع أن بريطانيا لا ترغب في بقاء قواتها خارج سوكن وهي لا تستطيع الاحتفاظ بهذه المدينة البعيدة رغم الهزائم التي لحقت بعثمان دقنة إلا أنه بقي محتفظاً بقدرته على الحركة وظل يشكل خطراً على سواكن وتحول إلى أسلوب حرب العصابات واستطاع أن يلحق الكثير من الخسائر بالقوات الانجليزية – المصرية ونجح في عزل الخرطوم عن شرق السودان ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص209- 210.

([2]) مذكرات عثمان دقنة ، مصدر سبق ذكره ، ص 61.

([3]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص210.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

معركة توشكي 3 أغسطس 1889 / 1307هـ)

كانت خطة الأمام المهدي وحسب ما وعد أصحابه أنه سوف يفتح مصر لذلك توقف الحلم قليلاً بعد وفاته وعندما تولى الخليفة عبدالله السلطة عمل على تنفيذ خطة المهدي ولذلك سعى إلى إنقاذ جيش النجومي المعد مسبقاً لهذه المهمة ، تحرك هذا الجيش في أول الأمر من أم درمان ناحية الشمال حسب توجيهات الخليفة.

مع بداية عام 1303هـ/1886م قام الخليفة عبد الله بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي إلى بربر ليتحرك منها إلى دنقلا، ومعه جميع قوات الراية الحمراء، وقد وصل إلى دنقلا في أواخر عام 1303هـ/1886م واتخذ منها معسكراً لقواته وقام بإرسال الطلائع إلى جنوب مدينة حلفا.[1]

كان عدد القوات التي تحركت نحو بربر تحت قيادة النجومي تقدر بحوالي سبعين ألفاً، وعندما وصلوا إلى بربر تفرق الكثير من تلك القوات في أنحاء البلاد ولم يبقَ منهم سوى عشرين ألف مقاتلٍ منهم عشرة ألفٍ من الجهادية الذين تمردوا عليه ولكنه اكتشف هذا التمرد واستطاع أن يقضي على هذا التمرد، وبعد أن وصل إلى دنقلا قام الخليفة عبد الله بتعيين مساعد قيدوم مدعوماً بعدد من المقاتلين لكي يكون وكيلاً لعبد الرحمن النجومي.[2]

وحدث نفور واضح بين النجومي ومساعد قيدوم حتى وصل مرحلة أنّ كل واحد منهم يقوم باستعراض جيشه وحده، وفي عام 1305هـ/1888م قام الخليفة باستدعاء الأمير عبد الرحمن النجومي إلى أم درمان وقام بتأنيبه وتحقيره أمام الناس، وذكر له بأنه شخص منفعل ولا يصلح للقيادة، وفي أواخر عام 1305هـ/1888م رجع النجومي إلى دنقلا بغرض التقدم نحو مصر، وعند حلول 1306هـ/1889م انتشرت المجاعة في

([1]) إبراهيم فوزي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص109.

([2]) المصدر نفسه، ج2، ص177.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

جميع أنحاء السودان، وقام الخليفة عبد الله بتعيين يونس الدكيم قائداً عاماً وعاملاً على دنقلا، وأمره بأن يضغط على النجومي لكي يتحرك نحو مصر.[1]

لقد تم نقل يونس الدكيم من القلابات إلى دنقلا، وقد كان نقله بعد خلاف نشب بينه وبين حمدان أبو عنجه، وسبب هذا الخلاف أنّ يونس الدكيم قد تغول على سلطات حمدان أبو عنجة في القلابات، وتأكد الخليفة عبد الله من عدم استمرارهم مع بعض في القلابات ولذلك تم تعيين يونس الدكيم عاملاً على كل الجيش في دنقلا.[2]

ومما شجع الخليفة عبد الله للضغط على النجومي للتحرك نحو مصر أنّ عدداً من القبائل في جنوب مصر قد أبدت الموافقة على الوقوف مع قوات الخليفة عبد الله ضد القوات المصرية، ومن تلك القبائل قبيلة الجعافرة، ورغم مرض النجومي تحرك بجيشه الذي فرّ عدد كبير منه من دنقلا نحو الشمال وقام بصرف مقدار قليل من الذرة لكل مقاتل وهو شيء لا يكفي لإطعام قواته.[3]

انضم إلى النجومي في دنقلا 2087 مقاتلاً من قبيلة البطاحين، وقد استقبلهم النجومي بعرضة كبيرة خارج المدينة، ورفع النجومي كشفاً شاملاً للخليفة بالأعداد التي انضمت إليه وسلاحهم ورياتهم.[4]

لقد كان قوام قوات النجومي يتكون من قوات الراية الحمراء بالإضافة إلى قوات القبائل التي انضمت إلى النجومي مثل الرباطاب والجعليين والشايقية والشكرية والدناقلة والمحس والرزيقات والهبانية، والمسيرية، وقد كانت أسلحتهم بدائية مقارنةً

([1]) المصدر نفسه ، ج2، ص178- 179.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 2/68/1 من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبوعنجة، 25 جماد أول 1306هـ، يناير 1889م، ص272.

([3]) إبراهيم فوزي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص179- 180.

([4]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 8 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص89.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بأسلحة القوات المصرية، حيث كان الخليفة عبد الله يعتقد بأنّ سلاح القوات المصرية هو نفس السلاح الذي قاتلوا به ضدهم في سنوات المهدية الأولى.[1]

وقد كانت أعداد القوات التي مع النجومي في دنقلا قبل أن تتحرك منها شمالاً تتكون من 11977 مقاتلاً وعدد الخيول 840 أمّا السلاح الأبيض فقد بلغ 2841 قطعة سلاح، هذه الأعداد كانت في 7 ربيع أول 1306هـ/نوفمبر1889م.[2]

هروب قوات النجومي:

لقد كانت هنالك حالات هروب وسط جيش النجومي وأهالي دنقلا، وقد بدأ هروب الجهادية عندما تحرك النجومي من دنقلا نحو كرسكو، وقد هرب الجهادية- بعد إحساسهم ببوادر الهزيمة والإهمال الواضح من الخليفة عبد الله بهذه الحملة - الذين يعملون بالمدافع وانضموا للجيش المصري، وقد هرب 32 جهادياً وهرب أيضاً رئيس الطوبجية بخيت جاموس الشيء الذي جعل النجومي يفقد عدداً من جنوده المهمين، ومما أزم موقف النجومي هروب الجهادية الذين يحملون المدافع، ونفقت الإبل التي معه الأمر الذي دفعه إلى تكليف بعض الأنصار بجر المدافع لمسافة طويلة ثم دفنها بعد ذلك لكي لا تقع في يد القوات الإنجليزية والمصرية.[3]

وقد شملت حالات الهروب الأهالي الموجودين في دنقلا، حيث هرب عدد منهم إلى جهة القوات المصرية والانضمام إليها، واستغلوا في ذلك المراكب، فصدر توجيه من محمد خالد إلى حمودة إدريس رئيس نقطة (دلقو) بأن لا يسمح لأي مركب بالمرور ما لم تكن تحمل تصريحاً بالمرور.[4]

---

(1) عبد الوهاب احمدعبدالوهاب،توشكي،دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر،دار جامعةالخرطوم للنشر، 1979م، ص49- 50.

(2) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 7 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص85.

(3) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، القعدة 1306هـ، أغسطس 1889م، ص103.

(4) د. و. م. خ/ مهدية 2/37/1 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 16 شوال 1313هـ، مارس 1896م، ص17.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخلاف بين النجومي ومساعد قيدوم ويونس الدكيم:

لقد عصفت بالجبهة الشمالية موجة من الخلافات بين قادة الدولة المهدية، ومن أبرز تلك الخلافات التي انعكست سلباً على أداء قوات المهدية، الخلاف الذي تجدد بين النجومي ومساعد قيدوم، وهذا الصراع بذل فيه الخليفة عبد الله دوراً مقدراً في حسمه، وقد كان كل من النجومي ومساعد قيدوم يطلبون من الخليفة عبد الله الإذن بالحضور إلى أم درمان وتوضيح وجهة نظره، وتحول الصراع إلى صراع آخر بين يونس الدكيم ومساعد قيدوم.

وقد كان الصراع بين النجومي ومساعد قيدوم صراعاً إدارياً وليس قبلياً، وما يدل على ذلك أنّ مساعد قيدوم قد دخل في صراع آخر مع يونس الدكيم، والصراع بين النجومي ومساعد قيدوم يرجع إلى أسباب إدارية وتنظيمية وأسباب أخرى شخصية غير قبلية، ولكن هذا الصراع في نهاية الأمر أضعف قوة الجيش.[1]

رغم الخلاف الواضح بين النجومي ومساعد قيدوم إلا أنّ الخليفة عبد الله قد استطاع أن يصلح بينهم، وبعد هذا الصلح طلب الخليفة من النجومي أن يعمل على ترحيل عائلة مساعد قيدوم من صرص إلى دنقلا على أن يوكل أمر ترحيلهم إلى عدد من أتباعه.[2]

تنظيم جيش النجومي في الشمال:

كانت هنالك العديد من التوجيهات التي تصدر من الخليفة عبد الله إلى النجومي بخصوص الجيش الذي معه، وقد طلب منه تنظيم جيشه وتقسيمه إلى أربع رايات كبيرة، وأن يقوم بتوضيح أعداد الجيش وأعداد الأرباع وسلاحهم وأن يقوم بتعيين الأشخاص القادرين على الإدارة والقيادة أمثال مساعد قيدوم وعبد الحليم مساعد

([1]) عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب ، مرجع سبق ذكره.، ص77.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 14 رجب 1305هـ، مارس 1888م، ص43.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومحمد حمزة، كقادة للربع وأن يستعرض الجيش في شكل صف واحد بدلاً عن التربيعات، والهدف من أسلوب الصف إدخال الخوف في نفوس الأعداء.[1]

قسم النجومي جيشه إلى أربعة أقسام وهي كالآتي:

القسم الأول	تحت قيادة النجومي	7400
القسم الثاني	تحت قيادة إسماعيل حركة	2000
القسم الثالث	تحت قيادة عبد الحليم مساعد	2200
القسم الرابع	تحت قيادة مساعد قيدوم	1200
المجموع		12800[2]

لقد كانت قوات النجومي الموجودة في صرص تحت قيادة عبد الحليم مساعد تعاني من الجوع والعري والإرهاق، الأمر الذي دفع الأمير عبد الحليم مساعد بأن يكتب للأمير عبد الرحمن النجومي يطلب منه إرسال مدد من الغذاء والكساء، ولكن في الوقت نفسه كانت قوات النجومي تعاني أشد المعاناة ولذلك رفع النجومي طلب الدعم إلى الخليفة عبد الله.[3] لقد أسهم الجوع وبصورة مباشرة في فرار عدد من قواته إلى داخل الأراضي المصرية، الشيء الذي أدخل الحزن في نفس النجومي لأنه لم يكن يعتقد بأن أحداً من قواته سوف ينضم إلى معسكر الأعداء.[4]

ونتيجةً لحالة الجوع طلب عبد الحليم مساعد من مساعد قيدوم السماح له بالدخول إلى الأراضي المصرية والعمل على جلب الغذاء من هنالك، ولكن قوبل طلبه بالرفض وهذا الرفض صادر من الخليفة عبد الله، وذكر مساعد قيدوم لعبد الحليم مساعد

---

(1) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 24 صفر 1306هـ، اكتوبر 1888م، ص66.

(2) إ ف . أر ونجت ، المهدية والسودان المصري ، (ترجمة) محمد المصطفى حسن، دار عزة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، 2009م، ص 449.

(3) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص92.

(4) د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى يونس الدكيم، 29 القعدة 1306هـ، يوليو 1889م، ص32.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بـأنّ القـوات المـصرية لم تـدخل إلى الأراضـي الـسودانية ولـذلك لا يمكـن مهـاجمتهم أو دخول أراضيهم.[1]

الخطابات المتبادلة بين النجومي وسردار الجيش المصري:

كانت هنالك عدد من الخطابات التي بعثها سردار الجيش المصري جرنفل إلى عبد الرحمن النجومي، وعندما علم الخليفة عبد الله بتلك الخطابات طلب من النجومي عدم الرد على تلك الرسائل لأنّ جميع الخطابات التي ترد إليه من جرنفل لا تحتوي إلا على الغش والخداع، وأنّ هذا المنع يأتي من باب سد الثغرات، وذكره بكتابات جرنفل إلى عثمان دقنة عندما كان في كسلا حيث امتنع عثمان دقنة عن الرد الشيء الذي أدى إلى أن يقطع جرنفل تلك الرسائل مع عثمان دقنة.[2]

لقد كانت للخليفة نظرة بعيدة تجاه الرسائل التي ترد إلى النجومي من سردار الجيش المصري، وقد كان الخليفة عبد الله يقرأ الأحداث جيداً، فقد خشي من كتابات سردار الجيش المصري على تماسك النجومي، وأن يستثمر جرنفل النقص في الغذاء والسلاح والذخيرة في الضغط على النجومي ويدفعه إلى التسليم، ولخوف الخليفة عبد الله من ذلك نجده قد قام بمنع النجومي من الرد على تلك الرسائل.

وساطة محمد سر الختم بين النجومي والحكومة المصرية:

حاول محمد سر الختم الميرغني التوسط بين النجومي والحكومة المصرية، وقد ذكر للنجومي بأنه سوف يعمل على رفع مطالبه إلى الحكومة المصرية، ويعمل كذلك على وقف الحرب بين النجومي والحكومة المصرية، وسوف يسعى إلى إقناع الحكومة المصرية بعدم التقدم جنوباً داخل الأراضي السودانية.[3] كانت هناك عدد من المحاولات

([1]) د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الحليم مساعد إلى عبد الحليم مساعد، 24 رمضان 1305هـ، مايو 1888م، ص67.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، 15 الحجة 1306هـ، ابريل 1889م، ص53.

([3]) د. و. م. خ/ مهدية 1/7 من محمد سر الختم الميرغني إلى عبد الرحمن النجومي، 7 ربيع آخر 1304هـ، ديسمبر 1886م، ص1.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

من قبل سردار الجيش المصري (قرانفل) يدعو فيها النجومي للتسليم كما حملت بعض هذه الخطابات التهديد والوعيد من (قرانفل) للنجومي ([1]).

تقدم قوات النجومي نحو الأراضي المصرية:

لم تنجح وساطة السيد محمد سر الختم الميرغني ولم يستطع (جرنفل) أن يستميل النجومي* ويقنعه بالتسليم، وقد تحركت القوات المنهكة، حتى وصلت إلى سمنه حيث بلغ عددها هناك 4000 مقاتل والنساء والأطفال 7000، وأمّا الجيش الذي كان تحت قيادة عبد الحليم مساعد 1200 والنساء والأطفال 1000.([2]). ودارت الحرب بين الطرفين حيث قتل من الأمراء في أرقين 6 وأمّا الخسائر في المعركة الفاصلة والتي حدثت في توشكي فقد خسر النجومي 1200 قتيلاً و4000 أسير، وقتل النجومي في هذه المعركة، وبعد مقتله حاول أصحابه حمله على جمل والدخول به إلى داخل الأراضي السودانية، ولكن فرق المطاردة المصرية استطاعت أن تلحق بهم وتستولي على جثمان الأمير البطل التي وجد معها ابن عبد الرحمن النجومي عبد الله الذي نجا من المعركة.([3])

رغم الهزيمة التي تعرض لها الأمير عبد الرحمن النجومي وقواته في توشكي إلا أنها كانت لها أثر عظيم في نفوس المصريين وقد أدخلت الخوف في نفوسهم من خلال توغل هذه القوات في بلادهم لمسافة 60 ميلاً ، وقد كانت مصر تتابع الحملة وتوغلها شمالاً وقد عاد الفرح للمصرين بعد القضاء على الحملة في توشكي ([4]).

([1]) محررات عبد الرحمن النجومي ، محمد ابراهيم أبوسليم ، إصدارات مركز أبوسليم ، الخرطوم ،2004م، ص122.

([2]) ونجت ، مصدر سبق ذكره ، ص 491.

([3])على محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان، (1889- 1899م)، المطبعة المصرية للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة، 1977م، ص 43.

([4]) إر. ونجت ، المهدية والسودان المصري ، مصدر سابق ، ص 488.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الرابع

معركة النخيلة

تُعد معركة النخلية ومن بعدها كرري من أفشل معارك المهدية ويرجع ذلك إلى عدد من الأسباب ففي معركة عطبرة أو النخيلة رفض الأمير محمود ود أحمد مشورة الأمير عثمان دقنة حول الهجوم على قوات كتشنر فكان مقترح عثمان دقة أن تبتعد قوات الأنصار عن مجرى النيل وتتوغل في الصحراء الشرقية ثم الالتفاف على قوات كتشنر من الخلف ومهاجمتها في بربر أو في حاميته التي أقامها عند نهر عطبرة ، لكن الأمير الشاب لم يستجب لمقترح عثمان دقنة رغم أنه كان الأنسب لكسب المعركة حسب معطيات ذلك الوقت . تحرك جيش محمود ود أحمد حتى وصل إلى النخيلة وعمل على بناء زريبة كبيرة وأصبح ينتظر هجوم كتشنر عليه وكان له ما أراد وفي 8 ابريل 1898م ومنيت قوات المهدية بهزيمة ساحقة رغم استبسال الأنصار في تلك المعركة ([1]).بعد هذه المعركة تراجع عثمان دقنة إلى أم درمان ، أما كتشنر قضي أربعة أشهر بعد معركة النخيلة يعد فيها جيشه وتوجه بعد ذلك إلى أم درمان للقضاء على الدولة المهدية وإنهاء حكم الخليفة عبدالله ([2]).

معركة كرري: (1898م/13016هـ)

أكمل كتشنر تجهيزاته للزحف النهائي نحو أم درمان ووصلت إليه عدد من المدافع الجديدة في معسكره كما وصلته المزيد من القوات الإنجليزية والمصرية وبلغت قواته 25800رجل ثلثها من البريطانيين . و الخليفة في أم درمان أخذ يستعد لمواجهة هكس حيث عمل على تحصين خنادق السبلوقة شمال أم درمان وبدأ كذلك يعد قواته من جميع الرايات والقبائل كما قام بإرسال مركبين لجلب الغلال من مناطق جنوب النيل الأبيض ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 215.

([2]) حسن أحمد ابراهيم ، تاريخ السودان الحديث ، (1821- 1956م) ، درا النشر ،الخرطوم ، 1987م ، ص94.

([3]) ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره، ص 269- 270.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لم يتمكن الخليفة عبدالله من الاستفادة من الظروف المحيطة به ووضح ذلك عندما سحب قواته من السبلوقة بحجة عدم مقدرته في إمداد هذه القوات بالغذاء بعيداً عن أم درمان وبذلك وجدت قوات الغزو الطريق ممهداً للوصول إلى عاصمة الدولة المهدية . وفي الأول من سبتمبر من العام 1898م وصلت هذه القوات إلى بلدة العجيجة على الجانب الغربي من النيل وفي الجانب الشرقي ظهرت قوات من الجعليين تساند الحملة استطاعت هذه القوات وبمساعدة المراكب الاستيلاء على موقع مواجه للعاصمة أم درمان . ونصبت المدافع لضرب العاصمة وكانت قبة المهدي تحت نيران الغزو ([1]).

بعد وصول قوات كتشنر إلى موقع جبل كرري كان الخليفة في انتظار أعدائه ، كان كتشنر يعتقد أن الخليفة سوف يعمل على مهاجمته ليلاً ولذلك بعث كتشنر بجواسيسه ليشيع وسط الأنصار أنه سوف يهاجمهم ليلاً فكان قرار الخليفة الخاطئ وهو مهاجمة جيش العدو عند الصباح ([2]).اجتمعت جميع الرايات في كرري بما فيها الراية الحمراء بعد أن قام الخليفة عبدالله بإطلاق سراح الخليفة محمد شريف حامد كما كانت الراية الزرقاء تمثل جيشاً لوحدها واتخذ الجيش شكل العرضة ([3]).

التحمت قوات الخليفة عبدالله بقوات الغزو الانجليزي – المصري في 2 سبتمبر عام 1898م ودارت معركة ضارية بين الفريقين استطاع السلاح الناري الحديث أن يحصد آلاف السودانيين في ساعات قليلة كما قاتل الأنصار بكل بسالة وشجاعة ، لكن نسبة للخسائر الكبيرة قرر الخليفة عبدالله التراجع ناحية الغرب بغرض تنظيم وتجميع قواته ثم بعد ذلك مواجهة القوات الإنجليزية – المصرية ([4]).

([1]) ب.م هولت ، مرجع سبق ذكره ، ص 217.

([2]) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ط4 ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1968م ، ص 217- 218.

([3])عصمت حسن زلفو ، كرري ، تحليل عسكري لمعركة أم درمان ، مطبعة التحدي ، الخرطوم ، 1981م ، 380.

([4]) عزام ابوبكر على الطيب ، العلاقات بين الخليفة عبدالله التعايشي وقبائل السودان ، (1885- 1898م) ، الهيئة القومية للثقافة والفنون ، الخرطوم ، 1992م ، ص 147.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

انتهت معركة أم درمان بعد قتال استمر لمدة خمس ساعات تم خلالها القضاء على قوات المهدية وحققت قوات كتشنر الكثير من المكاسب ومن أهمها دخول العاصمة أم درمان ([1]).

وقد كانت معركة كرري قاصمة ظهر المهدية وبفضل عدم التقدير الجيد للخليفة عبدالله منيت قوات المهدية بهزيمة ساحقة أدت في نهاية الأمر إلى نهاية الدولة المهدية التي بدأت منذ العام 1881م واستمرت حتى العام 1898م . وبهزيمة المهدية في كرري انهارت الدولة التي كافح الإمام المهدي والخليفة عبدالله من بعده لتثبيت دعائمها .

([1]) ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ' (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق القاهرة ، 2006م، 286.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة

مثلت القوات المقاتلة في الثورة والدولة المهدية العمود الفقري لهذه الثورة ثم الدولة حيث وقع على عاتقها الكثير من المهام وقدمت الكثير من التضحيات ، فكانت تقوم بالقتال المباشر والالتحام مع العدو و أصبحت تقوم كذلك بدور الاستطلاع وتقديم التقارير للإمام المهدي عن المعارك وقوات العدو المتحركة والمقيمة ، ثم أصبحت بعد ذلك العنصر الفعال في الإيمان بالمهدي والمساعد في نشر دعوته ، ولذلك انتبه الإمام المهدي للدور المهم والحساس الذي تلعبه القوات المقاتلة لذلك عمل على رفع روحهم المعنوية وتدريبهم بصورة دورية وكذلك عمل على تنظيمهم في مجموعات وفرق (رأس المية) و(رأس العشرين) كما ظهر مصطلح المقدم والأمير والعامل ، ومن وراء كل ذلك كان المهدي يطمح لتشكيل قوات مقاتلة قادرة على تنفيذ كل المهام بدقة وسرعة عالية .

بعد وفاة الإمام المهدي واجهت الخليفة عبدالله مشكلة تنظيم هذه القوات ورغم وجود الرايات التي عمل على تنظيمها الإمام المهدي نجد أن الخليفة عبدالله عمل على دمجها تدريجياً في الراية الزرقاء وظهرت بعد ذلك الانقسامات الداخلية والمشاكل القبلية مما كان له الأثر السلبي على الدولة المهدية وعجل بهزائم الدولة المهدية بعد ذلك في توشكي وكرري وأم دبيكرات . ويمكن القول أنه ورغم السلبيات التي صاحبت فترة المهدية في السودان إلا أنها وضحت بصورة جلية مقدرة المقاتل السوداني على الصبر وتنفيذ الخطط العسكرية على أكمل وجه وقد وضح ذلك في معارك المهدي الأولى حتى تحرير الخرطوم وفي معارك الأمير عثمان دقنة ومعركة القلابات.

(أ) النتائج:

من نتائج الدراسة :

(1) نجاح الإمام المهدي في استغلال العامل الديني في إشعال الثورة المهدية .

(2) استفادة الإمام المهدي من العوامل الجغرافية والطبيعية في تحقيق الانتصارات على قوت الحكومة .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

(3)تغير الأسلوب القتالي عند المهدي ساعده في تحقيق انتصارات حاسمة ومهمة .

(4)معارك المهدية في فترة الخليفة عبد الله منيت فيها الدولة بعدد من الهزائم مثل طوكر وتوشكي وكرري فكان بداية النهاية للمهدية .

(ب) التوصيات:

1) العمل على دراسة التاريخ العسكري للمهدية بصورة مفصلة لمعرفة نقاط الضعف والقوة والاستفادة من هذه التجربة .
2) تشجيع الباحثين والمهتمين لدراسة الجوانب غير المطروقة من تاريخ المهدية
3) إنشاء مركز لدراسة التاريخ السوداني العسكري .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر :

الوثائق :

1. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 8 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص200.
2. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 20 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص202.
3. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 22 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص206.
4. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 28 ربيع أول 1301هـ، ديسمبر 1883م، ص157.
5. د. و. م. خ/ مهدية 2/68/1 من الخليفة عبدالله إلى حمدان أبوعنجة، 25 جماد أول 1306هـ،يناير 1889م،ص272.
6. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 8 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص89.
7. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 7 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص85.
8. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، القعدة 1306هـ، أغسطس 1889م، ص103.
9. د. و. م. خ/ مهدية 2/37/1 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 16 شوال 1313هـ، مارس 1896م، ص17.
10. د.و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص92.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

11.د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى يونس الدكيم، 29 القعدة 1306هـ، يوليو 1889م، ص32.

12.د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الحليم مساعد إلى الحليم مساعد، 24 رمضان 1305هـ، مايو 1888م، ص67.

13.د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، 15 ذو الحجة 1306هـ، أبريل 1889م، ص53.

الكتب الوثائقية :

1. إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون و كتشنر، ج1، مطبعة الكتب الوثائقية، القاهرة، 2008م.

2. إسماعيل عبدالقادر الكر دفاني ، الحرب الحبشية السودانية ، (1885-1888م) ، (الطراز المنقوش ببشرى يوحنا ملك الحبوش) ، (تحقيق) محمد ابراهيم أبوسليم ، محمد سعيد القدال ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م.

3. إ ف . أر ونجت ، المهدية والسودان المصري ، (ترجمة) محمد المصطفى حسن، دار عزة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، 2009م.

4. جوزف أورفالد ، عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي ، (1882- 1892م) ، (ترجمة) عوض أحمد محمد الضو ، مطبعة التمدن الخرطوم، 2008.

5. عثمان دقنة ، (تحقيق) محمد ابراهيم أبو سليم دار الجيل ، بيروت، 1991م.

6. محررات عبد الرحمن النجومي ، محمد ابراهيم أبوسليم ، إصدارات مركز أبوسليم ، الخرطوم ، 2004م.

7. ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق، القاهرة ، 2006م .

8. ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ' (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق القاهرة ، 2006م .

9. نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2007م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

10. يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، (تحقيق)، أحمد إبراهيم أبوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني، أمدرمان 2004م.

ثانياً- المراجع العربية :

1. حاتم الصديق محمد أحمد ،دور الأمير يعقوب في المهدي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2009م.
2. حسن أحمد إبراهيم، تاريخ السودان الحديث، (1821- 1956م) ،در النشر، الخرطوم، 1987م .
3. سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، (ب. د)، (ب. ت) .
4. عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب، توشكي، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1979م .
5. عبد المحمود أبوشامة، من أبا إلى تسلهاي حروب حياة الإمام المهدي، المطبعة العسكرية، أمدرمان، 1987م.
6. عصمت حسن زلفو، شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس ،ط2، شركة كرري للطباعة والنشر، المطبعة العسكرية سابقا، أمدرمان، 1984.
7. _____، كرري، تحليل عسكري لمعركة أمدرمان، مطبعة التحدي، الخرطوم، 1981م .
8. عبدالودودشلبي، الاصولالفكريةلحركةالمهدية، المهديالسودانيودعوته، مكتبةالاداب، القاهرة، 2001م.
9. على محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان، (1889- 1899م)، المطبعة المصرية للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة، 1977م، ص 43 .
10. عزام أبوبكر على الطيب ، العلاقات بين الخليفة عبدالله التعايشي وقبائل السودان، (1885- 1898م) ، الهيئة القومية للثقافة والفنون ، الخرطوم ، 1992م.
11. محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، (1820- 1956م) ط2، مطبعة دار مصحف إفريقيا ، الخرطوم ، 2002.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

12. _____ ، الإمام المهدي، محمد أحمد بن عبدالله، (1844- 1885م) ، دار الجيل بيروت ، 1992م.

13. _____ ، المهدية والحبشة ، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهدية (1881- 1898م)، دار الجيل ، بيروت ، 1992م

14. محمد محجوب مالك ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية ، (1881- 1898م) ، دار الجيل ،بيروت، 1986م

15. 15- مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية (من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم) ،ج2،دار جامعة الخرطوم ،1984م.

16. _____ ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ،دار الثقافة ،بيروت، 1980م.

17. _____ ، الخرطوم بين المهدي وغردون ، مطبوعات لجنة الدراسات الإضافية ، جامعة الخرطوم ،1986م.

18. محمد فؤاد شكري، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، (1820- 1899) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م .

19. ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط4، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1968م.

ثالثاً- المراجع الأجنبية :

1. ب.م هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت، 1982م.

2. روبن نيللاند، حروب المهدية، (ترجمة عبد القادر عبد الرحمن)، مطابع الوحدة، أبوظبي، 2002م .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

3. روبرت أوكولينز ، تاريخ السودان الحديث ، (تحقيق) مصطفى مجدي الجمل ، المركز القومي للترجمة ، دار
4. العين للنشر، الإسكندرية ، 2010م.
5. فيرغس نيكول ، سيف النبي مهدي السودان ،(ترجمة) عبد الواحد عبدالله يوسف ، الناشر ، مركز عبد الكريم ميرغني ، الخرطوم ،2009م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com